الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
– البويرة –
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'enseignement supérieur et de
la recherche scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira –
Tasdawit Akli Mohand Ulhadj –Tubirett –
Faculté des Lettres et des Langues

قسم: اللغة والأدب العرب

التخصص: أدب عربي حديث و معاصر

بنية المونولوج في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

– دريسي خلود

إشراف الدكتور:

– د. علوات كمال

لجنة المناقشة:

1–	**أ/ تومي سعيدة**	**جامعة البويرة**	**رئيـسا**
2–	**أ/ علوات كمال .**	**جامعة البويرة**	**مشرفا و مقررا**
3–	**أ/ لعموري أمينة**	**جامعة البويرة**	**عضوا مناقشا**

السنة الجامعية: 2021/2020 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
– البويرة –
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'enseignement supérieur et de
la recherche scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira –
Tasdawit Akli Mohand Ulhadj –Tubirett –
Faculté des Lettres et des Langues

قسم: اللغة والأدب العرب

التخصص: أدب عربي حديث و معاصر

بنية المونولوج في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

– دريسي خلود

إشراف الدكتور:

– د. علوات كمال

لجنة المناقشة:

4–	**أ/ تومي سعيدة**	**جامعة البويرة**	**رئيسا**
5–	**أ/ علوات كمال .**	**جامعة البويرة**	**مشرفا و مقررا**
6–	**أ/ لعموري أمينة**	**جامعة البويرة**	**عضوا مناقشا**

السنة الجامعية: 2021/2020 م

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ليرى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار أبي " رشيد " أطال الله في عمره .

إلى من هي رمز الحب والعطف والحنان أعظم جوهرة في الوجود أمي " نورة " حفظها الله.

إلى من نشأت وترعرعت بينهما أخي أمين وأختي سارة وزجها حمزة، إلى محبوبة خالتها تسنيم، إلى عمتي العزيزة "روزة " أطال الله في عمرهم .

إلى جدتي الغالية "وردية " التي ترقد في قبرها، أنار الله قبرك وجعلك ناعمة في فردوس جناته.

إلى كل المقربين كل من جمعني معهم لحظة خير وعلاقة محبة " موني، جوهرة، نريمان، نورة، حنان، كهينة، خلود ".

خلود

شكر وتقدير

مع نهاية هذا البحث لا يسعني إلا أن أشكر الله وأحمده إذ منحني القوة والعزم وأمدني بعونه وتوفيقه لإتمام هذا العمل وأتوجه بخالص عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الكريم " علوات كمال " على قبوله الإشراف على العمل أولا، وعلى توجيهه وتواصله الدائم معي وإرشاداته النيرة في سبيل إنجاز وإتمام هذه المذكرة ثانيا.

أهدي تحياتي الخالصة للشاعر والروائي إبراهيم نصر الله الذي كان على تواصل معي ومساعدته لي من خلال تقديمه بعض المراجع التي كانت مهمة، وأتمنى له دوام الصحة والعافية ودامت كتاباته الجميلة.

وأشكر كل الأساتذة عامة والأستاذ "مصطفى ولد يوسف "خاصة، وكل الذين قدموا لي الدعم المعنوي وكانوا لي نعم الصالح المعين.

مقدمة

مقدمة:

إن عالم الرواية لا يعرف الثبات إطلاقا، لنجده يأخذ مسارات مختلفة حسب كل عصر يمر منه، لذا نراه دائما في تتجدد مستمر حسب طبيعة العصر، فتختفي أشكال روائية لتولد روايات أخرى من رحمها، ارتأيت لأخذ لبنة جديدة لدراسة أدب إبراهيم نصر الله الروائي من خلال رواية طفل الممحاة، هذه الأخيرة هي إحدى الروايات العربية التي سعت لفرض وجودها في معالجة القضية الفلسطينية، فسال تاريخ فلسطين في الروايات العربية الكثير من الحبر خصوصا أحداث النكبة التي برزت بشكل واضح في هته الرواية المختارة ، لكن من ناحية أخرى أردت الابتعاد من هذا الجانب، لأقدم الرواية بطريقة جديدة في إبراز تقنية أو تكنيك المونولوج الذي تأسس داخل هذا المحكي السردي والذي راح يسير مسارا دراميا في رصد وتشكيل لبنات رواية طفل الممحاة وذلك وفق إستراتيجية البوح والاعترافات الذاتية والوجدانية التي تعتري الشخصية الرئيسية لتحريك العمل الفني وهي من العناصر التي يبنى عليها نجاح الرواية، فراحت التجربة الكتابية لإبراهيم نصر الله تطبع بقالب جديد في الكتابة العربية المعاصرة ، خصوصا أنه قادم من أرض الشعر، معززا بذلك الرواية من خلال تجربته الشعرية.

وبما أن الحوار من أهم التقنيات التي تبنى عليها الأجناس الأدبية والرواية خاصة، بشقيه المباشر والغير المباشر، جاء المونولوج في رواية طفل الممحاة في قالب جديد خاصة كون الشخصية تفصح عن سيرتها الذاتية ، فكان وقع اختيار هذه الرواية أولا من خلال عنوان الرواية " طفل الممحاة " وثانيا بعد قراءتها، التمست ذلك البعد النفسي الذي لعب دور في الكشف عن خبايا النفس البشرية خصوصا أن الرواية تحمل الوجع الفلسطيني فهي قضية مكان وزمان وإنسان.

حظيت هذه الرواية بمجموعة من الدراسات من بينها:

– القضية الفلسطينية في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله.

– الرؤية التاريخية في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله.

هذا ما جعلني أغير مسار مثل هذا النوع من الدراسات لأخصص المونولوج كبنية تجوب الرواية من خلال فيض من التساؤلات وأذكر بعضا منها:

– كيف برز المونولوج كبنية درامية في رواية طفل الممحاة ؟.

– كيف ارتسمت معالم المونولوج " الحوار الداخلي " في الكشف عن سبر أغوار الشخصية البطلة وكيف برز فيها ؟.

– إلى أي مدى أسهم هذا التكنيك في بناء الرواية ؟.

للإجابة على كل التساؤلات اعتمدت في دراستي هذه على إتباع المنهج الوصفي التحليلي وكذا المنهج النفسي الذي يعتمد على الكشف عن الهواجس الداخلية، ولأن معالم الرواية تتطلب الغوص في داخل الشخصية في مثل هذه الدراسات لجأت إليه كونه مناسبا لرصد المونولوج في الرواية.

قمت بتقسيم البحث إلى مدخل وفصلين، فشمل المدخل مفاهيم المونولوج، ثم أنواع المونولوج وخصائصه، ثم تحدثت أيضا عن العلاقة الموجودة بين المونولوج والحوار.

خصصت الفصل الأول للجانب النظري تحت عنوان: المونولوج من وجهة تاريخية، فارتكزت مباحثه على مكانة المونولوج في الأجناس الأدبية لتتفرع إلى عنصرين وهي مكانة المونولوج في المسرح و في الرواية، ثم أدب إبراهيم نصر الله الروائي، ثم تلاها الفصل الثاني الذي خصصته للجانب التطبيقي وتم إدراجه تحت عنوان: المونولوج كبناء درامي في الرواية، لينقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث بداية بملخص الرواية وعتبة العنوان، ثم مواطن المونولوج وآلياته في رواية

طفل الممحاة، بعدها بنية المونولوج وعلاقتها بالأبعاد السيكولوجية للشخصية البطلة في الرواية، وفي ختام هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج التي كانت حوصلة لما قدمت في البحث.

استعنت في هذا البحث بالاعتماد على عدة مصادر ومراجع وكان أهمها رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله، وكتاب الكتابة تلك هي الحياة..ذاك هو اللون لإبراهيم نصر الله، أيضا تيار الوعي في الرواية الحديثة لروبرت همفري ، والكون الروائي قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله ل د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي وغيرها من الكتب المتنوعة .

وفي ختام الحديث أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل " كمال علوات " الذي كان لي نعم السند ونعم المرشد والذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة.

مدخل

المدخل:

يعد المونولوج من المصطلحات الشائعة في المسرح، بحيث هو نوع من الإبداع الفردي، لكن الرائج في المسرح عدم وجود لعمل فردي يقوم على شخص واحد على الخشبة لأنه في الأساس عمل جماعي يضم كل من المخرج والممثل وكذا المنتج وكل شيء في الصنعة المسرحية، ومنه علينا تسليط الضوء وكشف الغموض الذي لحق بمصطلح المونولوج والذي لم يحض بدوره بمكانة ضمن المعاجم اللغوية القديمة لأن في الأصل نجد الكلمة دخيلة ومعربة، فأصلها مأخوذة من اليونانية أو القاموس اليوناني، فوردت في المعجم المسرحي: " كلمة مونولوج تعني كلام الشخص الواحد. وهي منحوتة من الكلمتين اليونانيتين Mono = واحد ، وLogos = الكلام ...في الرواية يطلق على المونولوج اسم المونولوج الداخلي لأنه تعبير بصيغة المتكلم عما تعيشه الشخصية من أحداث وما تشعر به من أحاسيس"[1].

أما في معجم عطية* في العامي والدخيل تحددت على أنها: " يونانية مركبة من كلمتين معناهما تكلم وحده أو تكلم مخاطبا نفسه، وهو نوع من الدرام يقوم بتمثيله شخص واحد يخاطب نفسه. عربتها بالنجواء أو حديث النفس"[2] ومنه فإن المقصود بالمونولوج هنا هو حديث النفس مع

[1] - د. ماري إلياس، د. حنان قصاب حسين، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، عربي- انجليزي –فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون ،ط1، 1997، لبنان، ص 494.

[2] - الشيخ رشيد عطية معجم عطية في العامي والدخيل، دار الكتاب العلمية، ط1، 2003 ، لبنان، ص 395 .

ذاتها بحيث يكون الحديث أحادي لم يخرج عن نطاق النفس الذاتية إلى نطاق الجماعية للتعبير عن الصراع الوجداني الداخلي .

جاءت في المعاجم المعاصرة التي تبنت مصطلح المونولوج على أنه: " مونولوج (مفرد) :ج مونوجات :1 حديث طويل يحتكر فيه شخص الكلام. 2 (فن) خطبه تلقيها الشخصية المسرحية وحدها على إنفراد أو على مشهد من الحضور تكشف فيها عن خبايا النفس وما تنوي فعله، وتشرح فيها أمرا من الأمور "[1]، فيتمركز هذا المونولوج على شخصية واحدة تتحدث مع ذاتها للإفصاح والكشف عن أغوار باطنها للتخلص من العالم المحيط بها.

عرفت كذلك كلمة المونولوج في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب على أنها: " المونولوج المسرحي، الحديث المنفرد Monologue كلمة مطولة يلقيها الممثل منفردا على المسرح لا يشترط أن يكون فيها مناجاة للنفس "[2]، بحيث يقدم المونولوج المحتوى النفسي للشخصية فيتجلى ذلك من خلال التخيل واسترجاع الماضي والتذكر فيتدفق اللاشعور أو اللاوعي من تلقاء نفسه ليظهر هواجس ومشاعر الشخصية لرسم حياتها الداخلية، فيبرز كصوت داخلي خاص لا يسمعه

*ينظر في معجم عطية في العامي والدخيل "هو رشيد بن أسعد عطية اللبناني أديب لغوي، من كبار الكتاب، صحفي، مدرس نعته صيدح بشيخ الصحافة ومعلم اللغة العربية.

[1] - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، ط1، م1، 2008، القاهرة، ص 2141.

[2] - مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2، 1984، بيروت، ص 398.

أحد غيره لكنه يبرز على السطح وذلك لإبراز الخواطر التي تتربع في ظاهر الشعور والأفكار.

وما يتبين لنا أن معنى المونولوج في اللغات الأجنبية لم يتغير المعنى عن ما جاء في اللغة العربية فأخذت صفة الحديث الأحادي مع النفس وتكلم الشخصية بينها وبين ذاتها بغض النظر عن طريقة الإلقاء التي تنتهجها للتكلم، ومنه يمكننا القول أن جل المعاجم التي تبنت هذا المصطلح اليوناني تكاد تتفق على معنى واحد للمونولوج.

جاء في أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي على أنه:" منولوج داخلي Monologue Intérieure(...) هو جزء من الدراما يحمله الكاتب الدرامي لإحدى الشخصيات الهامة في درامته ينطق به عن وعي و إدراك"[1].

أنواع المونولوج وخصائصه:

إن المونولوج أو الحوار الداخلي مختلف بطبعه عن الحوار الذي اعتدنا عليه في كون الأول عبارة على أنه حوارا باطنيا لا يتعدى مجاله عن النفس الداخلية الذي يقدم المحتوى النفسي ومنه فإنه يتفرع إلى صنفين أو نوعين هما:

[1] - كمال الدين عيد، أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي، مراجعة إبراهيم حمادة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، الإسكندرية، ص691 .

أ) ***النوع الأول:***

والـــذي يتجلـــى فـــي المونولـــوج الـــداخلي المباشـــر الـــذي يعتبـــر الحـــديث فيـــه عبـــارة عـــن اســـترجاع للأحـــداث والمواقـــف الشخصـــية " المونولـــوج الـــداخلي المباشـــر هـــو ذلـــك الـــنمط مـــن المونولـــوج الـــداخلي الـــذي يمثـــل عـــدم اهتمـــام بتـــدخل المؤلـــف وعـــدم افتـــراض أن هنـــاك ســـامعا...أي أنـــه يوجـــد غيـــاب كلـــي أو قريب من الكلي للمؤلف من القطعة الأدبية "[1].

تعرفـــه صـــبحية عـــودة زعـــرب علـــى أنـــه: " الحـــديث الفـــردي الـــذي يـــدور بـــين الشخصـــية وذاتهـــا، ويـــدخل القـــارئ مباشـــرة إلـــى وعـــي الشخصـــية الروائيـــة المقدمـــة، للوقـــوف علـــى محتواهـــا النفســـي، ومـــا يـــدور داخلهـــا مـــن صـــراعات وأفكـــار دون أن يشـــير الكاتـــب صـــراحة أو إيحـــاء إلـــى أنـــه يقـــدم وعـــي الشخصـــية، ويفـــرغ محتواهـــا النفســـي... إنمـــا يحـــدث ذلـــك تلقائيـــا ودون تـــدخل مـــن الكاتـــب "[2]، بحيـــث تنفـــرد الشخصـــية وتعـــري فتكشـــف دواخلهـــا بوعيهـــا عـــن طريـــق التـــذكر واســـترجاع البـــواكير الســـابقة بالتخييـــل لاســـترجاع الماضـــي مـــن أجـــل إفـــراغ المكبـــوت الموجـــود فـــي حيـــز المحـــيط النفســـي ومنـــه فـــالتعبير يكـــون هنـــا برؤيـــة ذاتيـــة عـــن الإحســـاس والمشـــاعر الداخليـــة للشخصـــية عـــن طريـــق إظهـــار قـــرائن تـــدل علـــى وجودهـــا فـــي الـــنص الروائـــي، " ممـــا يلاحـــظ علـــى هـــذا الحـــوار التـــداخل بـــين الضـــمائر، وســـيطرة ضـــمير الغائـــب علـــى المشـــهد

[1] - روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، تر. د. محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، القاهرة، ص 60.

[2] - صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، ط 1، 2006، عمان، ص157.

الحـــواري"[1]، ممـــا لاشـــك أن هـــذا التمـــازج أو التـــزاوج بـــين الضـــمائر يـــودي بطريقـــة أو بـــأخرى فـــي إخفـــاء المؤلـــف ليفســـح المجـــال للشخصـــية للإفصـــاح عن خلجات نفسها بمفردها.

ب) النوع الثاني:

الـــذي يتجلـــى فـــي المونولـــوج الـــداخلي الغيـــر مباشـــر والـــذي يبـــرز عكـــس الأول فـــي التـــدخل المســـتمر للمؤلـــف بحيـــث نلاحـــظ التـــداخل بـــين حـــديث الشخصـــية المحوريـــة وحـــديث الســـارد فيبـــرز هـــذا التمـــازج مـــع بعـــض ليعطـــي إحســـاس بوجـــود أو حضـــور المؤلـــف فـــلا ينســـلخ عنـــه إنمـــا يبقـــى مـــرتبط بـــه " إن المونولـــوج غيـــر المباشـــر يعطـــي للقـــارئ إحساســـا بحضـــور المؤلـــف المســـتمر... هـــو ذلـــك الـــنمط مـــن المونولـــوج الـــداخلي الـــذي يقـــدم فيـــه المؤلـــف الواســـع المعرفـــة مـــادة غيـــر مـــتكلم بهـــا ويقـــدمها كمـــا لـــو أنهـــا كانـــت تـــأتي مـــن وعـــي شخصـــية ما"[2].

ورد أيضـــا فـــي كتـــاب صـــبحية عـــودة زعـــرب: " حـــديث يمتـــزج فيـــه كـــلام الســـارد وكـــلام الشخصـــية المتحدثـــة بحيـــث تبـــين مظـــاهر صـــوتين متـــداخلين فـــي العبـــارة الســـردية الواحـــدة: صـــوت الســـارد، وصـــوت الشخصـــية صـــاحبة الكـــلام، فـــلا يلغـــي الســـارد كـــلام الشخصـــية ولا تلغـــي الشخصـــيات صـــورة كـــلام الســـارد"[3]، وهـــذا الـــتلاحم الـــذي يظهـــر مـــن خـــلال حضـــور المؤلـــف دائمـــا يتمظهـــر فـــي وعـــي كلامه ومنه وعي الشخصية بذاتها.

---

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي وزارة الثقافة، 2004، عمان، ص 220، 221.

[2] - روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ص 66.

[3] - صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 159 ،160.

أما خصائص المونولوج فتجلت في:

_ خطاب لا هو مسموع ولا هو منطوق ومنه يلخص دي جارديEdouard Dujardin * خصائص المونولوج في قوله: " أسلوب المونولوج الداخلي بأنه الخطاب غير المسموع وغير المنطوق الذي تعبر به شخصية ما عن أفكارها الحميمية القريبة من الوعي"[1]، ومن هذا المنطلق فإن خصائص المونولوج في كونه خطاب باطني يجري داخل النفس لا يسمع له صدى ليبقى هذا المحتوى النفسي محصورا دون أن تجهر به الشخصية لسامع يصغي وإنما تخرج مكنوناتها لنفسها فيتم الحديث بين النفس والذات فيقدم مستوى أعمق في درجة الوعي، وبما أنه لا يوجد حوار فصيح لسامع يصغي فإن الخطاب هنا يكون في حالة سديمة فيما يشبه تقاطعا حادا بين الذات بشطريها ومن ثمة فإن فسح المجال أمام الشخصية للتعبير عن المشهد السردي لا يلغي أبدا دور المؤلف فيها فهو في العادة لا يختفي دائما في الرواية وإنما يتبين لنا التمازج والتناوب في الأدوار.

_ أما جيمس جويس James Augustine Aloysius Joyce*الذي اختار بدوره مصطلح تيار الوعي على غرار مصطلح المونولوج فهو يلخص خصائص هذا الأخير في أمرين تدفق الأفكار والوعي ومنه " الأول تدفق الأفكار الذي يجري كتيار الماء في نهر، والثاني هو المكان الذي يجري فيه هذا التدفق أي الوعي "[2] وبالتالي فإن الوعي له دور كبير في

[1] - لطيف زيتون، معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي- انجليزي- فرنسي، دار النهارمكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2002 لبنان، ص 163.

[2] - المرجع نفسه، ص 163.

إبـــراز خلجـــات الـــنفس والإفصـــاح عـــن تعـــابير الـــذات الداخليـــة المحبوســـة فـــي نطـــاق الـــنفس ومـــا يجـــري فـــي ذهـــن شخصـــيات الروايـــة، وكـــل هـــذا يصـــب فـــي حقل الحياة الذاتي للشخصية.

_ ومـــن خصـــائص المونولـــوج أيضـــا أنـــه أســـلوب تعبيـــر يعتمـــد علـــى الرؤيـــا الذاتيـــة فـــي اســـترجاع الوقـــائع التـــي مضـــت وولـــت لكـــن ترســـباتها بقيـــت عالقـــة فـــي أعمـــاق الـــذات الإنســـانية، وخاصـــية التـــذكر وهـــي جـــزء مـــن الـــوعي بحـــد ذاتـــه بحيـــث نجـــد هـــذا التـــذكر مـــرتبط بـــالزمن النفســـي للشخصـــية الفاعلـــة ، والســـرد الوجداني في وعيها.

علاقة المونولوج بالحوار:

بمـــا أننـــي قـــد أشـــرت ســـابقا حـــول مفهـــوم المونولـــوج وقبـــل الولـــوج وذكـــر علاقتـــه بـــالحوار علينـــا معرفـــة أولا الفـــرق بينهـــا فيعـــرف جيرالـــد بـــرنس*** فـــي كتابـــه قـــاموس الســـرديات علـــى أن الحـــوار: " عـــرض(درامـــي الطـــابع) للتبـــادل شـــفهي بـــين طـــرفين أو شخصـــين أو أكثـــر "[1]، ومنـــه فـــإن الحـــوار يتخـــذ بوصـــفه

---

* ينظر إلى ويكيبيديا: دو جاردان (10 نوفمبر 1861- 31 أكتوبر 1949)كاتبا فرنسيا وأحد المستخدمين الأوائل ل تيار الوعي تقنية أدبية، تجسدت في روايته عام 1888 ليس لورييه . على الرابط التالي:
Https://vvikipedla.com/wiki/Edouard_Dujardin

** ينظر إلى ويكيبيديا: جيمس أوغسطين ألويسيوس جويس (2 فبراير 1882 في دبلن، أيرلندا – 13يناير 1941 في زيونيخ، سويسرا) كاتب وشاعر أيرلندي من القرن 20، من أشهر أعماله " عوليس " Ulysses، وصورة فنان في شبابه، وسهر فنيغان. على الرابط التالي:
https://ar.m.wilipedia.org/wiki/جيمس_جويس

[1] - جيرالد برنس، قاموس السرديات ، ترجمة السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات ،ط1، 2003 القاهرة، ص 45 .

***ينظر إلى ويكيبيديا: جيرالد برنس هو مؤرخ أدبي أمريكي وأستاذ جامعي، ولد في 7نوفمبر 1942 في الإسكندرية في مصر. على الرابط التالي:
https:ar.m.wikipedia.org/wiki/جيرالد_برنس

وسيلة التي من خلالها تتحقق الدراما سواء في المسرح أو الرواية أو غيرها، فما من عمل أدبي إلا ونجد فيه حوارا قائما بين شخصيات مهما كانت تتميز من طباع فتجسد من خلاله مضمون هذا الإبداع للكشف عن ماضيها وحاضرها .

يبرز الفرق بين الحوار والمونولوج في كون الأول حديث بين شخصين أو أكثر والثاني حديث النفس مع ذاتها، ومنه تتجلى علاقتهما في أن المونولوج ما هو إلا حوار لكن يقتصر فقط على فرد واحد يكشف عن مشاعره وانفعالاته فيقوم بطرح أفكاره الشخصية والذهنية، فهو بالتالي لا يقتصر على نقل معلومات معينة للمستمع قصد الحديث وإنما " هو ذلك التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها. دون التكلم بذلك على نحو كلي أو جزئي "[1]، لكن الفرق يكمن في طريقة التواصل.

تكمن علاقة المونولوج بالحوار علاقة الجزء بالكل ليأتي الحوار كاشفا للأمور المتعلقة بشخصيات الرواية ومن قضاياها الفكرية بطريقة مباشرة، كما يصدر عن المونولوج تكثيف في الأحداث والأزمنة والأمكنة الناتجة عن الكتمان المحبوس في ذهن الشخصية، وبما أن الحوار بدوره ينقسم إلى نوعان حوار خارجي وهو الذي يبرز كأكثر الوضعيات الحاضرة في الرواية، وحوار داخلي " باطني " الذي هو المونولوج وهذا الأخير بدوره يشتغل كبنية سردية راصدة من خلاله بواطن الشخصية " يقوم المونولوج

[1] - عبد الناصر هلال، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط1، 2006، القاهرة، ص 157.

بفاعلية سردية، فالراوي يستدعي ذاته ويحاورها في استرسال يخلف مساحة سردية، وهو المرسل والمرسل إليه في آن، والذي يخلق هذه الخاصية البنائية القلق والحيرة اللذان يشكلان عالم الذات وهي تحاول أن تقرا واقعها في إطار نفسي مما يسهم في عملية التداعي "[1].

لا نستطيع أن نعزل المونولوج عن الحوار أو أن ندعي أن المونولوج شيء والحوار شيء آخر فمن غير المعقول أن يبرز المونولوج كنشاط دون الحوار " يأتي المونولوج الداخلي شكلا من أشكال الحوار المباشر مع الذات وهو في حالة تدفق وتماه كاشفا عن تداخل الأصوات السردية عبر ضمائر: المتكلم والغائب والمخاطب "[2]، هذا التلاحم بينهما يشكل عملا إبداعيا فتصور ما يجول في النفس من انطباعات وذكريات عشوائية تخلفها ترسبات التجربة المعيشية ليفصح عن سبر أغوار الأفكار الباطنية فتنقل للقارئ كما هي نابعة من ذات الشخصية، فهو يسعى إلى إقحام قارئ الرواية مباشرة في باطن الشخصية.

[1] - عبد الناصر هلال، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر ، ص157 ، 158 .
[2] - المرجع نفسه، ص 158 .

الفصل الأول:

المونولوج من وجهة تاريخية

الفصل الأول: المونولوج من وجهة تاريخية:

لما كان الكاتب المسرحي لا يستطيع أن يحلل الشخصيات بنفسه أو يكشف كشفا مباشرا عما يدور في فكرها ووجدانها من أفكار ومشاعر، فإنه يضطر أحيانا إلى أن يلجا إلى وسيلة يخرج بها عن ذلك العجز، ففي بعض مواقف المسرحية لا يمكن أن تفصح عن دخيلة نفسها وفكرها لغيرها من الشخصيات، ولكنها مع ذلك تجتاز أزمة نفسية أو لحظة حادة لابد أن ينقلها المؤلف إلى المشاهد فيتيح لتلك الشخصية أن تتحدث لنفسها لتكشف عن المشاعر الباطنية وكأنها تفكر بصوت مسموع وهذا ما يعرف بنجوى النفس " لذلك ينبغي أن يتسم الحوار بالحيوية، وأن يكون ذا قدرة على الإيحاء بما يدور في نفس الشخصية وفكرها أكثر من قدرة الحديث العادي، وإن يتجاوب مع طبيعة الموقف والشخصية "[1]، فهناك خطوط عريضة للفن المسرحي، من بينها الحوار بأنواعه خاصة الحوار الداخلي " المونولوج " وهو العنصر الأساسي في هذه الدراسة.

يعتبر الحوار عنصرا مهما في التأليف المسرحي، أنه ملفوظ الشخصيات، به تعبر عن حالاتها النفسية والاجتماعية والفكرية، فهو الذي يوضح الفكرة الأساسية ليقوم بالفصح عنها، فيراعي الكاتب كل جملة يقولها المتحدث، إذ يكون عمود المسرحية لكونه يرسم الشخصيات وهي تتحدث وتتصارع سواء مع طرف ثان الذي يقوم على أساس وجود الآخر أو مع نفسها من خلال إيصال الهوية النفسية الخاصة بالشخصية، وكلا الشكلين وأقصد بكلامي هذا الحوار الخارجي والداخلي يشكلان بنية واحدة في هرم العمل المسرحي .

ويعد الحوار جزء من صميم الفكرة فيطلق عليه صفة الدرامية حيث يسهم في دفع الأفكار والمشاعر والأحداث إلى الأمام لاكتشاف عن خبايا وأبعاد الشخصيات المتحاورة وما

[1] - د. عبد القادر القط، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة للطباعة والنشر، 1978 ، بيروت، ص34.

يجول في ذهنها من خواطر، ومنه هذا الحوار المتدافع من خلال تلك الهواجس والصراعات الداخلية تعكس درامية الحياة " فالحوار المسرحي كغيره من عناصر المسرحية حوار نموذجي برغم ما يبدوا في الظاهر من أنه طبيعي يمثل طبيعة الحوار في واقع الحياة "[1] ، فكل من الحوار بنوعية يسهم بشكل واضح في الكشف عن الشخصية.

المبحث الأول: مكانة المونولوج في الأجناس الأدبية:

1) المونولوج في المسرح:

إن المسرح لون راق من ألوان الفنون الأدبية العالمية، عد المسرح فنا وافدا على الثقافة العربية فهو من أكثر الفنون المستعصية لإيجاد تعريف له لتراوحه بين النص والخشبة، لطالما كان المسرح منذ الأزل القديم يعرض للشعوب المشاكل الحياتية المعاشة ومنه يقدم البديل والحل أيضا لتخطيها من خلال التأثير والتأثر بين السامع والمتلقي من خلال تقنيات تلمس روحه، ومن هنا فالمسرح يقوم على تقنية الحوار بين شخصيات تحاكي بعضها فتعرض به موضوعا معينا ويجسد هذا النص على الخشبة.

يتبين الإختلاف لكل جنس من الأجناس الأدبية سواء المسرح أو القصة أو الرواية، فإذا كانت القصة والرواية مثلا تبنى على السرد والوصف وكذا الحوار فإن المسرح والمسرحية تعتمد بصوره كلية على الحوار " هذه العناصر الثلاثة (الحوار – الصراع – الحركة) هي العناصر الجوهرية التي تميز فن المسرحية عن غيره من الفنون الأدبية "[2] الذي يعد ركيزتها والأهم على الإطلاق فالحوار بشطريه سواء الحوار الداخلي "المونولوج" أو "الخارجي" في المسرحية هو العنصر الجلي باعتباره إعداد تخاطب على مسرح الخشبة الذي بدوره يقوم بالكشف عن مكوناتها وصراعاتها فيتم من خلاله تقريب وإيصال الفكرة للمشاهد، ومنه فالحوار

[1] - د. عبد القادر القط، من فنون الأدب والمسرحية، ص 33.
[2] - عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط9، 2013، القاهرة، ص 137.

درامي يعتمد على حسن براعة التعبير وكثافة اللغة، " أصل المونولوج أن يكون على خشبة المسرح حيث تخاطب الشخصية الممثلة نفسها، وهو وسيلة يبرز بها المؤلف أفكار الشخصية وأحاسيسها واضطراباتها "[1]، وهنا ينبغي أن يكون الحوار واقعيا ينبع من الشخصيات ذاتها فيكشف عنها غطاءها الخفي ويحمل خصائصها كما تقدم، فلا تنطق الشخصية إلا بما يتلاءم معها، يمكن لهذه الشخصية أن توفق في إيصال وتوضيح ذاتها كما يمكن أيضا أن تكون غير قادرة على ذلك أي عدم إيصال ذلك المحتوى المرغوب فيه.

احتل المونولوج مكانة هامة في المسرح والمسرحية وصار وسيلة للكشف عن الكثير من الأشياء في نفس الشخصية المسرحية الموجودة على الخشبة " في ثنايا الحوار ترد أشكال أخرى من التعبير منها المونولوج وهذا الحوار عده أسلوب التعبير الدرامي وهي الصبغة الأكثر ملائمة لتعبير الشخصية يصل الانسجام في الرأي إلى حد يبدوا معه الحوار وكأنه اقتسام شخصيتين لمونولوج طويل واحد والمثال الأوضح على ذلك حوار رودريج وشيمين في مشهد الوداع في مسرحية السيد ليبيير كورني 1606- 1684 "[2].

إن كل شخصية نجدها غارقة في مناجاة ذاتها، وفي هذه الحالة تصبح اللغة هنا أشبه ببوح على انفراد. " لكن هناك حالة أخرى لا يتم فيها التواصل بين المتحاورين في تحول الحوار إلى نوع من المونولوجات المستقلة و منه فإن اللغة ترتقي ارتقاء كبيرا في المونولوج"[3].

برز المونولوج بشكل واضح في عدة أجناس أدبية ولعل أبرزها هو المسرح فلم يخلو أي عمل منها بالطبع، وكما ذكرت سابقا فإن المصطلح بحد ذاته ابن بيئته، وبما أنه حوار لكن من نوع خاص فالكاتب المسرحي يخلق روحا للنص الدرامي من خلال خلق شخصية

[1] - محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد للنشر، ط1 ،2010، تونس، ص 440.
[2] - ماري إلياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض عربي – انجليزي – فرنسي ، ص 176.
[3] - المرجع نفسه ، ص 176.

محورية التي تمثل عنصرا مهما وفعالا، والمونولوج من أهم وأبرز عناصر البناء الدرامي في المتخيل المسرحي بحيث نجده يرسم ملامح الشخصية التي تحمل في طياتها وثناياها عالما من التوجيهات المتعلقة بكل ما تفعله من عواطف وتحركات تقوم بها، وكل ما يبرز في العالم الخارجي من مكان وزمان وفضاء " استعمال المونولوج في المسرح عملية مقصودة من الكاتب الذي يريد من خلال المسرحية تبليغ خطاب خاص(نفسي، ثقافي، فلسفي)"[1]، ومن أحداث تجوب حول نفسيته ليبرز النص من خلال صدى يصدره ذلك الصوت " أما نص الشخصيات فهو خطاب يختفي فيه الكاتب كصاحب للقول وله أشكال متعددة أهمها الحوار والمونولوج والحديث الجانبي والتوجه للجمهور، يحافظ هذا النص على طبيعته اللغوية لكنه يتحول إلى كلام منطوق خلال العرض "[2].

فالممثل في الخطاب المسرحي يقوم بالتعبير عن ذاته بذاته ومنه بلسانه وكلماته وحتى لغته ليطلق العنان لعالمه الداخلي ليتحول في النهاية إلى وصف حي في الخطاب المسرحي، " تتميز الشخصية في المسرح وفي كل الفنون الدرامية عن الشخصية الروائية في كونها تعبر عن نفسها مباشرة من خلال الحوار والمونولوج والحركة (في مجال التمثيل) دون تدخل وسيط وهو الكاتب أو الراوي "[3].

إن " المونولوج شكل من أشكال الخطاب المسرحي يمكن أن يأخذ شكل المناجاة الفردية مع الذات إذ تتساءل الشخصية من خلاله عما تشعر به من مشاعر متضاربة ،

[1] - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ص 220.

[2] - محمد سالم سعد الله، أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، جدارا للكتاب العالمي، ص187.

[3] - ماري إلياس وحنان قصاب ،المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض عربي – انجليزي – فرنسي، ص 270 .

وتعبر عما في داخلها من تمزق أمام ضرورة اتخاذ قرار ما "[1] ، وهذا لا يقتصر فقط إلى الحديث للنفس فقط يتمظهر المونولوج على شكل حوار مع شخصية غير موجودة أو مع أشياء موضوعة على خشبة المسرح فيقوم بالحديث معها وتشخيصها على أنها ذات إنسانية صاغية لما تبوح به من آهات النفس المأزومة، " كما يمكن أن يأتي المونولوج على شكل حوار مع شخصية غائبة أو مع غرض موجود على الخشبة يشكل نقطة ارتكاز للمتكلم "[2].

إن المونولوج سواء أكان في المسرح أو في الخطاب إلا أنه لا يختلف كثيرا في تحقيق الوظيفة التبليغية المراد منها تعرية ما هو موجود في أغوار النفس " أما المونولوج في المسرح فإنه رغم كونه يختلف عن الحوار الداخلي في الخطاب العادي من حيث العفوية إلا أنه يتفق معه في كونهما صيغ على شاكلة الحوار أو يتفق النمط الحواري... في اعتبار المونولوج بذلك قناة الثانية لتوصيل أفكار المؤلف "[3].

2) المونولوج في الرواية:

تعد الرواية في العصر الراهن الفن السردي الأهم ضمن مجموعة من الفنون الأخرى، رغم أن الشعر أعتبر ديوان العرب منذ الأزل، إلا أن الأمور انعكست لتحل الرواية محله، فالشعر لم يعد له تلك المكانة التي كان يتباهى بها في العصور الغابرة، فصارت الرواية الفن الأكثر تأثيرا وتعبيرا، فبروزها كجنس أدبي مستقل عن ذاتها كونها فن متعدد بلغت مرحلة متقدمة من الوعي المعرفي، فأصبحت أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تشخيص الذات والواقع، فجاء في معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم أن " الرواية سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية... والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية

[1] - - ماري إلياس وحنان قصاب ،المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض عربي – انجليزي – فرنسي ، ص 494.
[2] - المرجع نفسه، ص 494.
[3] - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 219.

والوسطى "[1]، صارت الرواية ديوان العصر الحالي والمتفوقة على فنون السرد كافة منها المسرح والشعر والملحمة وغيرها، فلا ريب أن نقول أنها أضحت في المقام الأول، وبما أن الرواية متعة تفسح النفس ثم أن الفعل الإبداعي هو فعل جمالي بالنسبة للقارئ العادي، ومن ثمة هي رسالة مشفرة للقارئ المثقف فيجب الغوص في أغوارها للكشف عن ثناياها وتفكيك حبكتها، ويمثل النص السردي الروائي ساحة كبيرة تلتقي فيها الأفكار المتناقضة والآراء الكثيرة في الأحداث خاصة بتعدد شخصياتها.

يشكل المونولوج أو الحوار الداخلي في الرواية أهم مكوناتها السردية لأنه بالطبع يمثل جملة من أصوات بما فيها السارد، كونه في بعض الأحيان لا يمكن التفريق بين خطاب الشخصية وخطاب السارد، فيسهم عموما في إضاءة بعض الجوانب المهمة من حياة الشخصية وتفكيرها ووعيها بقضية ما من إيديولوجيات العصر لأن السرد بطبعه يتخذ هذه التقنية، هذا اللون من الحوار في الرواية يقوم بخرق الشخصية إلى داخلها فتقيم من خلاله هذا الحوار مع العالم الخارجي عبر جملة من الصراعات النفسية المتراكمة في إظهار صورة الشخصية وجوانبها سواء الفكرية أو النفسية، فاستعارتها هذه التقنية المسرحية في محاولة من المؤلف لاستيطان الشخصيات، وبالتالي فعلى الكاتب أن يمزج بين الحوار بأنواعه بعناصر السرد والوصف ليكون في حرية في أداءه الفني.

يدرج همفري Robert Humphrey المونولوج على أنه تكنيك، " في تقديم تيار الوعي تختلف اختلافا كبيرا من رواية إلى أخرى...إذا فإن المونولوج الداخلي هو ذلك التكنيك

[1]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، 1987 ، ص 176.

الذي المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها دون التكلم بذلك على نحو كلي أو جزئي"[1].

إن الإفراز الذي تخرجه النفس في لحظة ما من اللحظات، من خلال تطبيق وعيها لإضاءة بعض الجوانب المظلمة التي في أغلبيتها تكون مهمة من حياة الشخصية " لقد أثبت المونولوج المباشر وغير المباشر...أنها في أيدي معظم الكتاب المهرة تستطيع أن تحول تلك الشحنة الغريبة والشاذة في تيار الوعي الإنساني في مجالات القصص النثري الأصيل "[2].

ومنه " لم يعد الكاتب مهتما بالسببية الخارجية التي تدفع إلى تصرف معين بفعل إجراءات العلاقات والتفاعلات مع الآخرين وإنما برز وعي الشخصية الكامنة فيها محركا للأفعال ومكونات علاقات جديدة تنبثق من سببية داخلية "[3]، ومن هنا فالظواهر الخارجية ليست هي التي تحرك الشخصية في السرد بل تتعدى ذلك إلى استقلالية فتتحكم وعيها وعاطفتها وأفكارها ومعتقداتها التي تؤمن بها، ترى وولف أن" على الكاتب أن يهتم بالكشف عن اهتزازات ذلك اللهب الباطني إلى أقصى حد والذي يومض برسائله عبر الذهن "[4].

فالمونولوج يتغلغل في الداخل تحاول الكشف عن صورة لواقعها الداخلي محاولا من المشهد المونولوجي أن يعمق الوعي " أن الحوار الداخلي هو الصيغة التنفيذية الشاملة لقصة تيار الوعي ذلك أن الكاتب يسعى لإقامة حوار مستمر فياض ينبع من ذهن الشخصية عبر وسائل مختلفة أهمها المونولوج "[5]، " ومن هنا يكون ارتباط المونولوج بإحدى الطرائق الأربعة

[1] - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر.د. محمود الربيعي، ص 57 ، 59.
[2] - المرجع نفسه، ص 81.
[3] - فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنيات وعلاقات السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،1999 الأردن، ص 103.
[4] - المرجع نفسه، ص 108.
[5]- المرجع نفسه، ص 108 ، 109.

لتقديم الشخصية القصصية وهي طريقة تقديمها بواسطة نفسها "[1]، ومنه فإن المونولوج في الخطاب القصصي يضفي جمالية تسليط الضوء على الفعل السردي الذي يرصد ما يعتلج في ذهن الشخصية من خلال طريقة تفكيرها.

"عندما ميز باختين بين الرواية المونولوجية والرواية الديالوجية، كان في الواقع يميز بين الرواية ذات الرؤية الأحادية للواقع والرواية ذات الرؤية الشمولية للواقع "[2]، ويقصد من هذا التمييز بين الرواية ذات الصوت الواحد (الرواية المونولوجية) التي تحمل أبعادها الإيديولوجية وتفرضها في سائر فصول الرواية، والرواية البوليفونية ذات الأصوات المتعددة في الرواية والتي تشبه النوع المسرحي أثناء الأداء فلكل شخصية صوت مستقل بحد ذاته يعبر عن إيديولوجيته، " فتتحدد الرؤية المونولوجية للرواية عند باختين انطلاقا من العلاقة القائمة بين الكاتب والشخصية الروائية ...فوعي الذات عند البطل محصور في الإطار الثابت لوعي المؤلف الذي يحدده ويصفه استنادا إلى عالم خارجي ثابت ومحكم "[3].

ومما سبق فإن المونولوج أداة فنية تكشف الشخصية من الداخل فضلا عن الحالة الشعورية فتسعى جاهدة إلى عرض همومها وأمانيها .

المبحث الثاني: أدب إبراهيم نصر الله الروائي:

لمحة عن سيرة إبراهيم نصر الله:

إبراهيم نصر الله أديب جعل من اسمه علامة إبداعية فكانت أصابعه تكتب ما يملي عليها وعيه، " كان ذلك في الثاني من شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام 1954 حينما أطلق إبراهيم الطفل صرخة الحياة الأولى في عمان ليكون الطفل الثاني بعد طفل سبقه

[1] - فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنيات وعلاقات السردية ، ص 109.
[2] - حميد لحميدان، أسلوبية الرواية، مكتبة الأدب المغربي الدار البيضاء،ط1 ، 1989، ص 41.
[3] - المرجع نفسه، ص 41.

– رحل قبل أن يبلغ الثانية – لأبوين اقتلعا من قريتهما الفلسطينية (البريج – غربي القدس) في عام 1948 ... لم يكن أمام الأبوين إلا أن يعيشا في خيمة في غور نمرين شرقي نهر الأردن في ما بعد سيكبر الطفل ويغدوا كاتبا مرموقا "[1]. ذاك الصبي الذي غاد في مستقبله شاعرا وروائي برسمه الوجع الفلسطيني مجسدا آلامه ومآسيه، " بات على الروائي أن يستوعب المأساة الكبرى التي أحدثت شرخا كبيرا في جسد الوطن بضياع أجزاء عزيزة منه "[2].

ـ إن التأمل في تجربة إبراهيم نصر الله، سواء الشعرية أو السردية انطلاقا من سيرته تعد من أنضج التجارب، باعتباره أديب منغمس في الأحداث فهو جزء منها لأنه عاش تجربة شعبه المريرة من مأساة متجرعا سم مكابدها، فاتسمت كل إنجازاته الفنية ببروز فن روائي وشعري متميز فنلاحظ ذلك التوافق في كل من المضمون والفن " تعد تجربة إبراهيم نصر الله من أنضج التجارب الروائية العربية الحديثة وأخصبها ، فهي تحتوي على كثير من المنجزات الفنية التي تجعل منها تجربة رائدة في الإبداع الروائي على مستوى الحركة الروائية " [3].

ـ وبما أنه شاعر وروائي وكاتب مسرحي إلى جانب شاعريته الفذة فإن هذا ما جعل من أدبه يتصدر مكانة خاصة به " لقد حضر الشعر في روايتي الأولى عبر اللغة الشعرية وخاصة (صورة) الأسطورة والمسرح "[4]، فكان الناتج عن هذا بروز لغة روائية فنية ذات معان جمالية لتقوم بتشويق القارئ وجذبه إلى عالم القص، " إن لغة السرد عند إبراهيم نصر الله جاءت ضمن مستويين المستوى التصويري، والمستوى التقريري، وقد أخذت ثقافة المؤلف

[1] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة ..ذاك هو اللون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1 ، 2018 ، لبنان، ص 8 ، 9.

[2] - د. محمد صابر عبيد ، د. سوسن البياتي، لكون الروائي قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007، لبنان، ص 9.

[3] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله ، ص7.

[4] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة..ذاك هو اللون، ص 151.

دورا هاما في توظيفها وتطويعها لتلاءم النص الروائي "[1] ، وبما أن الرواية هي جزء من حياة الإنسان بكل ما يكتنفها فقد عمل الروائي إبراهيم نصر الله على انتقاء موضوعاته مستندا إلى مجموعة من الأحداث المستوحاة من واقع شعبه فلسطين وهذا بصفته كاتبا ومواطنا وفردا من هذا البلد كان لابد الخوض في مسائلها، " يكتب الكاتب ليقول هاجسا ما، ملحا، لا يستطيع الفرار منه "[2].

ـ ربما كانت الانطلاقة لتكوين فرد عارف ومثقف ناتج عن جملة فطرت القلب وأطبقت على النفس، فجملتي " سيموت كبارهم وينسى صغارهم... لو كان الفلسطينيون شعبا لكان لهم أدب "[3] هذا التعبير الذي كان الركيزة الأساسية للانطلاقة وإثبات الوجود وقلب الموازين، ومنه فقد صرخ ذلك الصوت عاليا فأراد التغيير والتعبير على عكس ما قيل في حقه وفي حق شعبه فما كان عليه إلا تكثيف مجهوداته لتغيير الكلام الصهيوني القاتل فالكتابة هي حماية للذاكرة منها يستطيع الإنسان أن يستند فيها لمعرفة حقائق جلها لا توجد في الحقائق التاريخية، وبما أن الرواية تعكس الواقع بمنظور خيالي فإن نصوص نصر الله إبراهيم غنية بمنجزات استثنائية لاستعادة التاريخ المسلوب عن طريق بلاغة التخييل، ما أضفى على التجربة التعبيرية هي قدرتها على الكشف و تشخيصها لمأساة الإنسان المعاصر.

ـ تميزت كتاباته الأولى الروائية التي تعددت في جملة من المواهب والاهتمامات، ناهيك عن الخيال الذي لا يكفي إطلاقا وحده في النتاجات الأدبية كون الرواية تستند أيضا لجملة من العناصر المحفزة للإبداع، فالملاحظ أن طابع المسرح برز بشكل عفوي فمن الصعب الحديث عن جانب ما في التجربة الأدبية وإغفال جانب آخر، " فإذا كنا قادرين على

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 46.
[2] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة ..ذاك هو اللون، ص 148.
[3] - المصدر نفسه، ص 166.

أن نفصل الماء عن الزيت بسبر فإنني لا استطيع إن افصل الشعر عن الرواية في تجربتي"[1]، دون أن ننسى اللغة الشعرية وهذا شيء عادي لأديب كانت كتاباته الفنية منغمسة في الشعر ثم بعد القفزة التي اتخذها وهي كتابة الروائية فأعطاها زخما دراميا متشبا ولمسة فنان خاصة به " إن الفن الروائي بوصفه فنا سرديا يرتكز إلى العديد من التقانات فثمة أسئلة حاول الروائي طرحها لعل من أبرزها: سؤال الوطن والموت والحب والجنس والغربة "[2]، " إتكائي على تجربة شعرية كانت موضع تكريم في أكثر من المناسبات "[3].

ـ كان التميز بالنسبة للرواية الأولى ذات العنوان " براري الحمى " 1985 المغلوب عليها سمة المسرح والتجربة الذاتية فنجده " لجأ إلى مزج بين الواقع بالأسطورة "[4] فما كانت إلا أن تكون ابنة لتأثير المسرح خصوصا المسرح الإغريقي ومسرح شكسبير كذلك وأيضا مسرح العبث فهذا الثالوث العظيم أثبت مكانته ضمن تجربة الأديب، " انصبت على الشعر بشقيه القديم والحديث، العربي والعالمي، ثم مسرح شكسبير، المسرح الإغريقي، مسرح العبث، الأساطير والملاحم " [5]، هذا الزخم المعرفي والكم الهائل من الانفتاح على الثقافات المختلفة جسد لنا روحا تستلهم منها فنا إبداعيا ." إبراهيم نصر الله من الروائيين القلائل الذين يتجسد فيهم الحس الروائي الطاغي بضرورة حرية الفعل السردي في مشروع إبداعي اكتسب خصوصيته وتفرده "[6].

[1] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة.. ذلك هو اللون ، ص 112.
[2] - د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الكون الروائي، قراءة في الملحمة الروائية، الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله ، ص 6 .
[3]- إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة.. هو اللون، ص 112.
[4] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 7.
[5] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة ..ذاك هو اللون، ص 113.
[6] - د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الكون الروائي قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله ، ص 5.

ـ لقد رصدت أعمال نصر الله جملة من الأحلام المتحطمة " تمزق النفس العربية، وتقلص المد القومي، وانحصار الأحلام بعد خروج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي وما تلا ذلك من نتائج سلبية على صعيد الفكر والثقافة والسياسة، ومن تقلبات في الرؤية والمواقف والسلوك، ومن انسحاب الفرد بآماله إلى الظل بعد أن شعر بإجهاض لأمانيه وأحلامه المروعة في مستقبل أمة فاعل، وبالتالي اغترابه"[1]، انعكس هذا التمزق الذي خرق الذات من كل الجوانب فتضاعف الشعور بالمرارة والفقد والحرمان وما يسكن القلب من جراحات ومكابد عميقة فنتج انعكاس وهذا ما يصوره الكاتب في أعماله الروائية.

ـ مع طرحه للرواية الثانية الأمواج البرية التي كان موضوعها الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والتي كذلك ظلت حبيسة الطابع المسرحي والشعر دون الانسلاخ منهما، فهو مبدع تجتمع في قلمه مواهب جمة بغوص في أعماق القضايا التي يتناولها شعرا كانت أو نثرا تظل فلسطين جرحه الغائر حتى يغدو حيره لونا آخر لدم الفلسطينيين المسفوك على مرأى عالم لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم حتى، إنتاجه الإبداعي موسوعي بامتياز يوثق الذاكرة الفلسطينية ويؤرخ حكاية شعبها لأن الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي هو صراع على الحكاية أيضا .

ـ إن جل أعماله نحت منحى واحد منطلقة من الانسحاق الذي لازم الفرد وما يعانيه إزاء الظروف الصعبة المحيطة به من اغتراب نفسي واغتراب البلد كذلك وهذا ما ولد تكوين للوعي الذي ترسب من خلال حياة الفقر والاقتلاع والبؤس فكل هذه المشاهد ساهمت في خلق التجربة، فذاكرة إبراهيم نصر الله مكتظة بمشاهد قاسية " إن الوصف جزء من مكونات الحكي في النص الروائي فالتقابل بين الحكي والوصف هو من مميزات الوعي الأدبي "[2].

[1] - د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الكون الروائي قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله ، ص 35 .

[2] - د. مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، بيروت، ص 64.

ـ لعب الوصف في رواياته دورا هاما من وصف للشخصيات والأمكنة والأزمنة " إذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي ، فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان "[1]، فلم يخلو بكل تفرعاته رغم أنه إحدى التقنيات الهامة في العمل الروائي، مثله مثل السرد، والحوار كذلك يسهم في تصوير الحدث وبناء النص، لأنه يسهم في الكشف عن كل ما يحيط بالشخصية سواء المحيط الخارجي البارز أو المحيط الداخلي الخاص بالنفس وما تحتويه " إن الوصف عند إبراهيم نصر الله بقدر ما كان أداة يستخدمها لتطوير أحداثه وحبك أجزاء العمل بقدر ما أصبح جزء لا يتجزأ من تيماته التي يعبر عنها "[2].

ـ أيضا " نصر الله في مشروعه الوصفي، يتكئ على مجموعة من التقنيات السينمائية، فقد استخدم: المونتاج ، واللقطة التأسيسية والشاملة والكاميرا المتحركة...وغيرها من التقنيات السينمائية لالتقاط مواضيع الوصف "[3]، فاستعانته بالتقنيات السينمائية لرصد او وصف الشخصية بطريقة مبتكرة، فأخذ بها ما يحوجه النص لأن السينما كما هي شائعة فن متطور بنفسه " إبراهيم نصر الله الذي قام كثيرا باستخدام التقنيات السينمائية في بناء عالمه الروائي في وصف لشخصياته "[4]، فالفن السينمائي يعبر كثيرا عن الواقع المعاصر " والمتأمل في تاريخ السينما العالمية ، يجد أن السينما اعتمدت كثيرا على الفنون الإبداعية ، فالرواية كانت ولا تزال إحدى مصادر السينما "[5].

ـ لعل ما برز في العمل الروائي المشروع الضخم المتكون من مجموعة روايات لكل رواية عالمها الخاص والمتفردة عن الأخرى وهذه الروايات هي قناديل ملك الجليل، زمن

---

[1] - حميد لحميدان، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991، بيروت، ص 80.

[2] - د. نداء احمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ط 1، 2015 ، عمان ، ص 402 .

[3] - المرجع نفسه، ص 238.

[4] - المرجع نفسه، ص 236.

[5] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص237.

الخيول البيضاء، طفل الممحاة، طيور الحذر، زيتون الشوارع، أعراس آمنة، تحت شمس الضحى، كل هذه الأعمال تحمل في طياتها علاقة وهي تصوير المشهد الذي برز فيه تهديدا للإنسان الفلسطيني خاصة والعربي عامة ومقاومته وربطه بأرضه في هذا العالم بأسره، على الرغم من استقلالية الروايات عن بعضها البعض "عرفت الرواية العربية الجديدة تحولات عميقة في مسارات البناء والرؤيا وذلك في أفق موجة التجريب التي تداهم الأعمال الإبداعية بصفة عامة، حيث انساق الروائي مثله مثل غيره من صانعين نص الإبداعي إلى توسيع أدوات انشغاله وتخصيب رؤاه وتفاصيله وأسئلته "[1] .

_ تميزت رؤية الكاتب المتألق بالانطلاقة من عناصر ذاتية منبثقة من ثقافته ورأياه فكانت لغته معبرة إذ اتجه مسارها من الداخل لتفرز أصواتها إلى الخارج تاركة أصداءها المنعكسة، وهذا ما جعل أدب إبراهيم نصر الله يتميز لأنه أعطى اهتماما واضحا بالعوالم الداخلية للشخصيات فاسحا أمامها مجالا لإبراز مسارها على النحو الذي تريده مستعينة بذلك المستوى المقدم لها.

ـ لم يكتفي الكاتب الجريح عند نقاط محددة، فسطعت أعماله السردية التي اكتسبت في أبعادها الوجودية الكشف عن الحقائق المشوهة والمزيفة فسلاحه تمركز في التعبير عن شتات الإنسان الفلسطيني بالإفصاح عن كل أشكال العدوانية والتسلط القهري الذي يعتري شعبه فما كان عليه إلا زرع الوعي في أذهانهم عن طريق نماذج روائيه معبره بكل جوانبها ممارسا فيها وعيه من تجربته التي خاضها في حياته فما كان لأجواء المخيمات التي عاشها إلا أن تنحت على جسمه وشما يذكره عن ذاته ومعاناته وعن الحلم الذي كان عليه أن يحققه وهذا ما حدث فعلا " وظف إبراهيم نصر الله في أعماله الروائية شخصيات ذات أبعاد

[1] - إبراهيم الحجري، الرواية العربية الجديدة، السرد وتشكل القيم، مكتبة قطر، ط1، 2014، بيروت، ص 133.

سيكولوجية للكشف عن محتويات اللاشعور والرغبات المكبوتة واللواعج النفسية التي تؤرق الفرد "[1].

ـ انعكست كل تجاربه الحياتية على إبداعاته الروائية وكل موضوعاته انصبت في قالب واحد تمدد القضية الفلسطينية ومنه فإن الممارسة الإبداعية تنطلق أساسا من التجربة الإنسانية فتحولت الكتابة إلى استنطاق ذات الإنسان العربي في أحلامه وإنهزاماته " يكتب الكاتب ليقول هاجسا ما، ملحا، لا يستطيع الفرار منه "[2].

ـ لقد برز مشروعه الروائي بطابع خاص" إن روايات الملهاة الفلسطينية ما هي إلا احتفالية بوح تهبط إلى روح الإنسان الفلسطيني من الداخل ، لتخرج همسه العميق وآهته وأنته الجوانية برشاقة سردية قل نظيرها في روايات التجربة الحية العربية "[3]، فهي إذن عبارة عن سلسلة عميقة تعكس الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني بمختلف أشكاله وكما صرح في كتابه كتاب الكتابة " إن روايات الملهاة الفلسطينية غطت 250 سنة من تاريخ فلسطين"[4]

" هذا المشروع الروائي بمثابة الثمرة المباشرة لما بعد معركة بيروت التي فرضت حالة من الضياع والتشتت "[5].

كما أن لكل مبدع طريقة تميزه عن الأخر فيبرز من خلالها تلك اللمسة الخاصة به " ولإبراهيم نصر الله طريقه خاصة في الكتابة تمت آليات سردية وثقانات خاصة وأساليب ورؤى مختلفة يمارسها نصر الله "[6].

---

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 143.
[2] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة ..ذاك هو اللون، ص 148.
[3] - د. محمد صابر عبيد، د سوسن البياتي، الكون الروائي، قراءة في الملحمة الروائية، ص 16 .
[4] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة .. ذاك هو اللون، ص 169.
[5] - المصدر نفسه، ص 166.
[6] - د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الكون الروائي، قراءة في الملحمة الروائية ، ص 13.

ـ اتكأ إبراهيم نصر الله على المادة التاريخية فجعل منها أساسا صلبا للبناء الفني الذي تجلى وبرز في المسكوت عنه بطريقة تخيلية أضفت على رواياته وإبداعاته لمسة فنية " إن في كتابته نكهة سرد خاصة في الإبداع العربي المعاصر او كما قيل إن لتجربته مذاق خاص ولا عجب في ذلك فهو الشاعر المتذوق للكلمة واللغة المفردة قبل أن يتذوقها الآخرون "[1]، فالسرد التخييلي هو المكمل للسرد التاريخي وهذه العلاقة لديها طموح بعدم السماح للذاكرة بنسيان الماضي.

ـ تجلى الوصف في مشروعه الروائي المترامي الأطراف الذي يعالج ما يقاسيه الإنسان العربي وتوثيقية بنسقية فنية أخاذة بتاريخ العذاب الفلسطيني " إن الوصف عند إبراهيم نصر الله بقدر ما كان من أداة يستخدمها لتطوير أحداثه وأجزاء العمل بقدر ما أصبح جزءا لا يتجزأ من تيماته التي يعبر عنها "[2].

ـ هناك خاصية ميزت أيضا الكتابة الإبداعية لدى إبراهيم نصر الله والتي تجلت في التعبير الساخر " هي ملكة لا تتوفر لدى الكثير من الكتاب "[3]، ومما لا يمكن إنكاره توظيفه للسخرية والكثير منها في كل أعماله الروائية كذلك طريقه سرد المبتكرة والمختلفة في كل مره رسمت علامة الروائي المختلف عن بقيه الروائيين " إن القيمة الجوهرية للتعبير الساخر في رواية نصر الله تتمثل في محتواه النقد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي ما تكثف السخرية لتبلغ حد الكوميديا المأساوية والكوميديا السوداء"[4]، وهذا الفن بنوعه سواء اللاذغ والحاذق يؤدي إلى وظائف منها تكثيف الدلالة ، " وقد اعتمد الروائي على استقراء الحدث بجو ينضج

[1] - د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الكون الروائي، قراءة في الملحمة الروائية ، ص 13.
[2] - نداء احمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ص 402.
[3] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة.. ذاك هو اللون، ص 18
[4] - المصدر نفسه، ص 18.

بالسخرية من الحالة المأساوية التي تعيشها شخصيات الرواية "[1] ، " يلجا إبراهيم نصر الله إلى السخرية بأنواعها في بعض أعماله بشكل لافت كما في روايات : حارس المدينة الضائعة ،وشرفة الهذيان ، وطفل الممحاة "[2]

_ يؤسس التخييل بدوره فيكون العلاقة بين ذهن الشخصية والشيء المتخيل " قد كان واضحا في تجربه إبراهيم أن الخيال مسنود بجمله من العناصر المحفزة للإبداع، وفي صدارتها الوعي المبكر للذات والطاقات، والوعي الدقيق بالبيئة الاجتماعية والسياسية "[3].

_ لعب الحوار في أعمال الروائي الفلسطيني دورا هاما في بناء نصه من خلال هذه التقنية التي لا يقل شانها عن السرد والوصف بكل تفرعاته فنجده يستحدثها في رواياته بنوعيه سواء الحوار الخارجي (الديالوج)، " استعمل إبراهيم هذا النوع من الحوار للكشف عن الملامح الفكرية للشخصيات الروائية وتصوير مواقفها "[4] أو الحوار الداخلي (المونولوج) " وظف إبراهيم نصر الله تكنيك الحوار الباطني بنوعيه المباشر وغير المباشر، لمزيد من الإضاءة الداخلية للشخصية "[5]، يسهم الحوار في إبراز ورسم الشخصية والكشف عن طبيعتها وموقفها إزاء شيء معين.

فالحوار بصفة عامة ما هو إلا أحد الآليات التي تعتمدها الرواية في بناء تشكيلها السردي بجانب آلية السرد والوصف، وقد يبرز في بعض الحالة أن يظهر الحوار الساخر الذي يتجلى كرد مصاحب لانفعال معين " أسهم الحوار الداخلي في تحقيق الرابطة العلائقية بين الذات والذهن من غير أن يحدث انفصال الخيال عن الذاكرة "[6].

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 187.
[2] - نداء مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله، ص379.
[3] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة..ذاك هو اللون، ص 16.
[4] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 214.
[5] - المرجع نفسه، ص 221.
[6] - المرجع نفسه،ص 235.

ـ فإبراهيم نصر الله من الكتاب الذين وظفوا عنصر الحوار بشقيه ليخرج في نهاية المطاف إلى رسم عالم حكائي خاص به " كان الحوار بنوعيه، الخارجي والداخلي وسيلة رئيسية في روايات إبراهيم نصر الله ، أسهمت في تطوير الحدث وكشف عن جوانب الشخصية، ونهض الحوار الداخلي بالعديد من الوظائف فجاء موازيا الأحداث الخارجية منعكسا عنها، واستطعنا بالمونولوج قراءة أفكار الشخصيات "[1]، وهذا التأثير للمشاعر والأحاسيس استدعى إلى بزوغ الحوار بأنواعه فمن الواضح أن الحوار يعطي زخما دراميا خصوصا حين تصل الأزمة إلى ذروتها.

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 320.

الفصل الثاني :

المونولوج كبناء درامي في رواية طفل الممحاة

المبحث الأول: أحداث الرواية وسيميائية العنوان :

ملخص الرواية:

يحتضن المشروع الروائي الفني مجموعة من الروايات، من بين هذه الروايات المنسوبة لهذا الإبداع الضخم للملهاة الفلسطينية " طفل الممحاة "، هذه الرواية تحمل في طياتها وثناياها تتبع مسار أو حياة شاب بالكاد يتذكر أو يعرف من يكون، جاء هذا الإبداع ليعود بالزمن إلى الوراء من خلال وضع سبعة دروس ذات العناوين التالية : درس الزغب، درس التعب، درس الحسب من غير نسب، درس الرسائل والهوى، درس الرتب، درس الغضب، درس العجايب والعجب، هذه الدروس راحت تعيد ما عاشته الشخصية " فؤاد " لتشمل وقائع المعاني الأساسية التي تعلمها في حياته فتقوم باستحضار طفولته من البداية، لتؤرخ هذه الرواية الثانية الصادرة سنة 2000م فتجسد سيرة بطلها الذي راح يحكي ويسرد أحداث ومجريات الطفل التي عاشها في القرية مع عائلته وكيف كان وقع الحادثة التي من الممكن أن يكون ميتا فيها لكن شاءت الأقدار أن تغير مجرى الأحداث " حين أدرك أن ثم شيئا غريبا قد حدث في رأس العريف فؤاد، قرر أن يعيد له حياته متتبعا مسارها منذ اليوم الأول الذي التقاه فيه "[1] . و كيف لعب دور الملكين في حماية الطفل في الرابع من العمر من موت محتم بعد سقوطه من أعلى السطح هذا القدر الذي راح يغير مجريات الأحداث لتكتب له أقدار مختلفة في مستقبله " ها أنت تهوي من أعلى السطح "[2] ، لتجيء حادثه أخرى تكتب له قدرا آخر والمتمثلة في الجفاف الذي لحق بالقرية فما كان على أبيه إلا عبور مزرعة جاره فراح هذا الأخير يطرده منها ليقوم الوالد بفقع عينه، ثم يجيء دور السيدة الوالدة

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط3، 2012، بيروت، ص9.
[2] - المصدر نفسه ،ص 13.

في إرسال ابنها إلى الجيش لإنقاذه ليس إلا تهريبا لابنها من القرية ذات العادات الشنيعة والتي راحت تتمثل في اقتلاع عيني فؤاد كأخذ بالثأر، في حين كان وجود فؤاد في المعسكر، غيرت سعده أخته الكبرى مجرى الأحداث من خلال زواجها بابن الرجل الذي يريد الانتقام من أخوها، فشاءت الأقدار أن ترمي بالطفل في أحضان المعسكر لا يفقه شيئا فيه لأنه ابن قرية لم يخرج من زاويتها حتى ليجد نفسه محاطا بين أحضان البنادق، وبما أن هذا الطفل كان ذا صورة جميلة راح الحظ يسكن فيه من خلال الإعجاب الذي حظي به هناك، فكانت سيرته الشخصية تقف على كل محطة من محطات حياة الطفل فؤاد، أو العريف فؤاد أو حتى الملازم فؤاد، وبتقمصه لكل هذه الأدوار جعلت المعجبين والمعجبات خاصة يذهلون من مظهره، ومن ثمة دور الرسائل التي تلقاها لكنها بقيت حبيسة الزوايا قاعدة في ركنها، ثم يحييك الكاتب إبراهيم نصر الله بأسلوبه الساخر نسيجه الروائي مسجلا من خلاله كل تفاصيل الحياة من خلال إبراز مكانة بطل بسبب مظهره الخارجي فيرسم شخصية شاب محظوظ بوسامته وبإتقانه للغة الانجليزية " حين وجدك المدرب القصير الشاويش عطا منتصبا فوق رأسه فز من مكانه مذعورا وأدى لك التحية على عجل قبل أن ينتبه أنك واحد من المنتسبين الجدد "[1]، واصفا تلك الليالي التي أمضاها سواء داخل أسوار المعسكر أو خارجه ، ولان شكل الفؤاد كان متميزا كثيرا فنلاحظ من البداية كان له حضورا واضحا، وهذه الميزة غالبا ما تكون حسنة إلا أنها اكتسبته صفه الخائن فما كان على المحيطين به إلا أخذ الحذر منه، وبعد الإعجاب الذي حظي به من طرف سيد البلاد الذي قدم له هدية وهي البندقية كأمانة راح يحتفظ بها ومحافظا أيضا على مذياع صديقه يعقوب الذي زج في السجن " وان المذياع منذ

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة ، ص53.

هذه اللحظة قد أصبح في عهدتك تماما بندقية سيدي البلاد "[1]، ليجد نفسه في حرب وعلى الأراضي الفلسطينية ومن أحد جنود الجيوش العربية الذين سيأخذون على عاتقهم مهمة إنقاذ فلسطين، ثم راحت تزداد الأحداث وتتكثف من خلال الحرب المفاجئة له ومروره تلك ليله التي ظن فيها جميع أن البطل فؤاد من المستشهدين رغم أن الحقيقة كانت عكس ذلك، كل هذه الأقدار التي كتبت له منذ صغره حين سقط من أعلى المنزل وحين خرج من الحرب سالما تاركا ظنون حتمية الموت بالنسبة للجنود من جهة ومن جهة أخرى ظن فيها أنه منتصر باستخراج العدو من البلاد وبحمايته لتلك البندقية التي قدمت له " بعد ساعات توصل بنفسك لحقيقة انك لم تدخل الحرب لكي تموت ،بل لتعود منتصرا فما الذي يمكن أن تقوله لسيد البلاد حين تمثل بين يديه ؟ "[2] هذا العمل الروائي الفني الذي ألم بجوانب عدة من لغة شعرية ووصف وانفعال وسخرية من أحداث تلك النكبة التي انعكست على البطل فؤاد بصفه خاصة وللبشرية جمعاء بصفه عامة ، مثل هذا القالب الروائي الفني تميزا بموضوعه المؤرخ لتاريخ القضية الفلسطينية من خلال سرد سيرة الشخصية المحورية فؤاد ليوصل لنا إبراهيم نصر الله حقيقة من منظور الكتابة التخيلية مستعينا بالتاريخ فيه فكان وقع اختيار سيرة فرد واحد عربي راحت تعكس كل الأفراد من زاوية محددة.

دلالة العنوان :

إن أول ما يواجه بصر القارئ للوهلة الأولى هي العتبات النصية لما فيها من أهمية بالغة في فهم خصوصية النص وما يحمل من صفات له، وهذه العتبات ما هي إلا عبارة عن علامات بمثابة مدخل سابق لمتن النص هذا الأخير الذي لا تكون له دلالة إلا بها من بين مجموعه العلامات، فالعنوان فهو بمثابة البهو إلى النص لأننا بكل بساطة علينا الوقوف لبرهة

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة، ص 226.
[2] - المصدر نفسه، ص 226.

إذ لا يمكن أن ندخل إلى بيت أحد دون الوقوف على عتبته " للعنوان وظيفة نصية لأنه يمثل بمثابة البهو الأول يتم الدخول منه إلى النص، إذ تؤطره خلفية ثقافية، وتحدد قصديته بمساعدة دلالتين هما: الدلالة التجريبية والدلالة التاريخية "[1]، لذا فإن المبدع الحقيقي دائما نجده يولي اهتماما في طريقة وصياغة عنوان وهذا لجذب القارئ .

إن العنوان هو مفتاح العمل الأدبي هو أول مؤشر لدخول أغوار النص تكمن علاقته بالنص علاقة الجزء من الكل، فنجده يحمل أبعادا كثيرة من خلال الإيحاءات التي يعتمد عليها الكاتب إبراهيم نصر الله في روايته طفل الممحاة، هذه الجملة الاسمية المتكونة من كلمتين فجاءت الأولى نكرة أما الثانية معرفة والمخطوطة بالخط العريض وباللون الأسود ليعبر من خلاله عن دلالتين دلالة الطفل ودلالة الممحاة، يرمز الطفل إلى البداية، إلى الورقة البيضاء، إلى النية والصفاء وعدم وجود حيلة وغياب الخبث فيه، أما الممحاة ترمز إلى الانطواء إلى التهميش إلى الحذف، وبهذا فإن بصر القارئ حين يمر على هذا العنوان سيتبادر إلى ذهنه جملة من التساؤلات:

عن ماهية الممحاة في هذا الطفل وإلى ماذا رمز الكاتب من خلال هذا الطفل؟

وما هو الشيء الممحي فيه؟.

كيف محي ؟.

ولما محي؟.

من خلال دراستي للرواية وجدت أن عنصر المحي برز من خلال عدة نقاط تجلت في محيه، بداية من سقوطه حين كان متشبثا بحافة السطح :

[1] - د. نداء احمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ص 387.

" ها أنت تهوي من أعلى السطح ...ها أنت ترتطم بالأرض ... لأنك غير موجود في المكان الذي نفترض أن تكون فيه !"[1].

"ها أنت أمامها، لكنها تجتازك "[2].

في هذا المشهد من الرواية يتجلى عنصر المحي لهذا الطفل فكان من المفروض أن تجده في نفس الموقع لأنها شاهدته وهو يمر أمام عينيها كورقة تهوي من أشجار فصل الخريف لكن السيدة الوالدة أعميت بصيرتها، هذا المقطع جاء كبداية لهذه الرواية تحت دلالة التلاشي.

أيضا تجلى عنصر المحي حين كان يحشر نفسه دائما في زاوية المنزل أو زاوية الغرفة وحيدا " ها أنت تجلس في الزاوية هناك هل ترى في الزاوية المظلمة الزاوية الأقصى الأقل من زاوية قائمة تحت سراج المريض محني الظهر على كتبك ودفاترك وقلمك الوحيد وكل ما تخشاه أن يتسلل ذات ليل إليك وتنتهي"[3].

أيضا من خلال الرواية يبرز عنصر المحي من خلال الحرب التي قام بها حيث عد ممحيا من طرف أسعد بيك الذي صرح بأنه صار من شهداء هذا الحرب .

" الشيء الذي عليك أن تعرفه أن أسعد بك أعلن بحزن أنك قد غدوت واحدا من خسائر الحرب، بعد أن عاد عبد الله وعباس ومن معهما مكسورين بفقدانك.

– لم نستطيع العثور له على أي أثر، سيدي! قال عبد الله .

– والبندقية؟

– اختفت سيدي، واختفى المذياع أيضا "[4].

[1]- إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة ، ص 13.
[2] - المصدر نفسه، ص 14.
[3] - المصدر نفسه، ص 33، 34.
[4] - المصدر نفسه، ص 224.

ظهر عنصر المحي بصفة واضحة من خلال وصول الحبكة إلى آخر الرواية بحيث انعكست صورته أمام المرآة لتغدوا سرابا زائلا في لحظات.

" فمن ذاك الذي يمكن أن يرى غيره أو يسمعه، حين تكون أمامه مرآة بهذا الحجم؟ !!! "[1]

يعكس العنوان والنص الموازي لغلاف الرواية بحيث يتبين لنا أن الأسلوب الذي اختاره هو الشبه تجريدي وهذا الأخير عبارة عن أشكال وألوان توحي بوجود وجوه منتشرة على اللوحة أو الغلاف، لكن بطريقة غير واضحة كما لو أن الرسم بقلم الرصاص فلا تظهر ملامحه أي نستطيع محيه بسهولة وهذا يعكس من جهة أن عصر المحي لا يقوم على أساسات قوية، ومن ناحية الألوان نرى أن الفنان استعمل ألوانا داكنة مما يوحي أن العمل الفني له دلالة عميقة من حيث الموضوع المتطرق إليه الذي يعبر فيه عن قضية عادلة ومأساوية في نفس الوقت.

يصور العنوان " طفل الممحاة " أن صاحب هذه الشخصية هو ذلك الشخص المنسلخ ربما عن روحي كأنه جسد بلا روح أو روح بلا جسد للوهلة الأولى، أما داخل متن الرواية تبين أن هذه الشخصية حاملة في طياتها العديد من الصراعات التي مرت بها من خلال تلك المشاهد والوقفات التي جابت كل محطة من محطات حياته التي عاشها والدروس التي شكلت جملة من الرموز التي حدثت لفؤاد

" درس الزغب ..درس التعب

درس الحسب من غير نسب

درس الرسائل والهوى درس الرتب

درس الغضب!!!!

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة ، ص 275.

درس العجايب والعجب! "[1]

الملهاة الفلسطينية جاءت كلمة الملهاة معاكسة لكلمة المأساة، ففضل إبراهيم نصر الله هذه الكلمة على غيرها لأنه رأى ما فيها وما تحتويه أكبر من أن يكون مأساة، فبابتعاد هذه الجملة عن المتن الروائي نجدها متكونة من كلمتين ملهاة وفلسطينية هل صحيح أنها ملهاة ؟

ولما ملهاة؟ ولما لم تكن محصورة في كلمة مأساة؟

إن ما تحمله القضية الفلسطينية أكبر من أن تحصر في كلمة المأساة " المأساة مغلقة بالهزيمة الحتمية لأبطالها...إما تعبير الملهاة أكثر عمقا رغم أنه يبدوا صادما للبعض في البداية "[2]، مصرحا بذلك الروائي الفلسطيني الذي هطلت عليه الأسئلة مثل المطر حول هذه الكلمة لما هي وليس غيرها وأعني بذلك الملهاة .

وقد كان وقع هذه الكلمة في مشروعه الروائي أثر كبير من خلال تجلي السخرية في طريقة الكتابات لديه لكن هذا الروائي بدوره قد قام بشرح الملهاة في آخر الرواية من لسان العرب في الصفحات الأخيرة من طفل الممحاة وصرح في كتابه كتاب الكتابة " فهي تحمل في جذورها ظلالا غاية في التعدد والدلالات المتصارعة... وإذا ما أخذنا بأن وجود إسرائيل من سخريات القدر فإن التعبير الملهاة أكثر عمقا "[3].

ومنه لا يمكن فهم معنى العتبات النصية خصوصا العنوان دون فهم النص المحاذي له.

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة ، ص5.
[2] - إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة ، ص 178،179.
[3] - المصدر نفسه، ص 178، 179.

المبحث الثاني: مواطن المونولوج وآليات الحوار في رواية طفل الممحاة:

_ مواطن المونولوج وأنواعه في الرواية:

المونولوج أو الحوار الداخلي الذي قد قدمت له تعريفا سابقا، حيث يكون ذلك الكلام أو الحديث الذي لا يخرج عن نطاق النفس، فيكون المتحدث والمستمع شخص واحد " يمثل المونولوج الحوار الداخلي الذي تقدمه الشخصية مع ذاتها لتعبر عن أفكارها بتدرج منطق لا شائبة فيه وهو يمثل سلسلة من الذكريات لا يعتريها مؤثر فلا أفكار غير متسقة مع الإطار الفكري العام "[1].

أيضا " هو قطعة طويلة من (التفكير المباشر)...المونولوج الداخلي يتمثل في حقيقة أن هدفه هو استحضار تدفق غير منقطع من الأفكار التي تمر عبر كيان الشخصية "[2].

راح وقع اختياري للرواية المناسبة لمثل هذه الدراسة في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله والتي تجلت فيها جملة من المونولوجات، بحيث سطعت الرواية من بدايتها إلى نهايتها ببروز هذا النوع من التجريب " إن المونولوج هو توصيل الهوية الذهنية "[3]، وبما أن المونولوج ينقسم إلى نوعان فقد زاوجت الرواية بينهما من خلال المونولوج المباشر وآخر غير مباشرا.

1) المونولوج الداخلي المباشر:

هذا النوع من المونولوج برز بصورة واضحة في رواية طفل الممحاة خصوصا أن هذه الرواية كان لها طابعها المميز بحيث راحت مؤرخة بذلك الفترة الممتدة في فترة من فترات

[1] - نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ص 371.
[2] - يان مانفريد، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة أماني أبو رحمة، مكتبة بغداد نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 2011، سوريا، ص 151.
[3] - نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ص 373.

القرن العشرين من تاريخ القضية الفلسطينية من خلال سرد سيرته الشخصية المحورية " فؤاد"، فكتابة التخييل التاريخي بانتقاء سير أحدهم، لأنه جزء من أفراد الجنود التي ساهمت في الحرب والتي راحت تذكر نفسها بسبب فقدان الذاكرة لتعيد الماضي بوصفها حافزا تقدم موضوع الحكاية من خلال الكشف عن ما يختلجها من أحداث ومواقف راسخة في أعماقه.

برز هذا النوع من المونولوج الداخلي المباشر من خلال عدة مقاطع من الرواية، مخلفا ما يشير على أن المتحدث شخص واحد من خلال استعماله تكنيك وعي الشخصية بصراحة أو إيحاءا منها للدخول في أغوار النفس.

"– انظر جيدا. قال له.

حاول العريف فؤاد أن يحدق ما استطاع في الجهة التي حددها له صاحبه، فلم يرى شيئا

–هل ترى ما أراه ؟

هز العريف فؤاد رأسه، فليس من اللائق ألا يرى شيئا مما يراه صاحبه ."[1]

ففي هذا المقطع تدخل الشخصية مباشرة في سرد حدث وقعت لها من خلال وعيها لمجريات الأحداث و يظهر ذلك من خلال (صاحبه، أقل ثقة بنفسه وبصاحبه) .

يتراءى هذا المونولوج المباشر بالاكتفاء فقط بوجود إشارات تصرح على أنه لا يحتاج إلى سامع وإنما يأتي في حديث النفس مع ذاتها من خلال استرجاع ذكرياتها.

" أريد أن أسالك بصراحة: هل سمعتها؟ لا، لا أريد إجابة أعرفها !!"[2]

وأيضا في مقطع آخر من خلال :

" بالمناسبة أنا واحد من الأشخاص الذين يؤمنون إلى حد بعيد بهذا التواصل بين مخلوقات الله وإن اختلفت لغاتها وأجناسها وفصائلها أيضا وأنت مثلي !!" [1].

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة، ص 9.
[2] - المصدر نفسه، ص 12.

منه فإن المونولوج ظهر من خلال التساؤلات التي راح يلقيها على نفسه ليس لمعرفة الإجابة لأنه أكيد يعرفها وإنما يدرجها في نطاق الأسلوب الساخر فلا نجد أي شيء يوحي بكلام المؤلف أو دخوله في الشخصية.

في هذا الجزء من الرواية تظهر الشخصية محاورة نفسها وتكشف أنها على إدراك كامل بما تسرده من خلال وعيها فتصرح ذلك من خلال تقديم المحتوى سواء مظهرها الخارجي أو من باطنه الداخلي يتثبت أنها على دراية.

" صحيح أنك لم تزل أنت من الخارج ولا تقل وسامة لكنك من الداخل كنت شيئا أخر"[2].

في جزء آخر يتضح المونولوج الداخلي المباشر في أغوار هذه الشخصية لا تعكس إطلاقا مظهرها الخارجي، فإدراك الخارج عكس إدراك الداخل.

"– لو أن السيدة الوالدة هنا لترى.

ها أنت تهمس لنفسك. أتسمع ؟! "[3]

بما أن المونولوج المباشر راح يكثر في الرواية ويأخذ حيزا فيها، وذلك من أجل تبيان ما قد محي من ذاكرة العريف فؤاد لتسترجع كل الأحداث باستعمال تكنيك المونولوج فهو الطريقة المثلى لمثل هذه الاسترجاعات.

" ولكن، اسمح لي أن أسالك، لماذا لم تطلب العودة ثانية إلى هناك؟

بالنسبة لي، أعرف الجواب، أعرفه تماما، لكنني أريد أن أقول لمن لا يعرف، أنك لم تكن تتوقع أن نعمة كهذه يمكن أن تتكرر مرتين في حياة الإنسان."[4]

" أنت لم تصدق كلامها، ولهذا أؤكد لك الآن، وليس لي حجة سوى أنني أعرف أكثر منك!! "[1].

---

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة، ص 12.
[2] - المصدر نفسه، ص 70.
[3] - المصدر نفسه،ص 72.
[4] - المصدر نفسه، ص 78.

من خلال هذه المقاطع التي راحت تثبت للقارئ وعي الشخصية الناطقة لما تعلمه لتدخل الشخصية في وعيها مباشرة دون حاجتها إلى المؤلف فتكون عالمة لمجريات الأحداث، هذه الشخصية التي تستعيد الأحداث فتقوم بمحاورتها للتغلغل في نفسيتها، وفي المقابل نجد المونولوج الغير مباشر.

2) المونولوج الداخلي الغير مباشر :

هذا النوع من المونولوج دائما ما نجد كلام المؤلف متداخلا بكلام الشخصية المحورية خاصة بتدخل المؤلف فيه بصورة مباشرة ليفرض بطبعه وجود متحدث وسامع معا هذا التلاحم بينهما، يظهر في حديث شخصية البطل فؤاد في رواية " الطفل الممحاة " في بداية الرواية وسأوضح هذا الكلام من خلال هذين المثالين:

من عتبة الحياة التي تبدأ من السطح فيقول: " حين أدرك أن ثمة شيئا غريبا قد حدث في رأس العريف فؤاد قرر أن يعيد له حياته متتبعا مسارها منذ اليوم الأول الذي التقاه فيه "[2].

هذا المقطع يحيل لنا ويكشف بأن المتحدث أقحم كلامه في كلام الشخصية المتحدثة فأراد أن يبين من خلاله أن هناك سارد يقوم بالإفصاح عن مجريات الأحداث من خلال استرجاع الزمان للماضي قبل فقدان الذاكرة ومنه " ذلك النوع الذي يعطي القارئ أساسا لحضور المؤلف المستمر ويستخدم وجهة نظر المفرد الغائب بدلا من وجهة نظر المفرد المتكلم والطرق الوصفية والتعبيرية"[3]، فيتضح المونولوج الغير مباشر أيضا في هذه الرواية من خلال مزج كلام السارد مع كلام الشخصية فؤاد، من خلال إثبات صلة المؤلف بالشخصية الرئيسة .

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة، ص 100.
[2] - المصدر نفسه، ص 9.
[3] -قيس عمر محمد ،البنية الحوارية في النص المسرحي ، دار غيداء للنشر ،ط1، عمان، 2011، ص59.

" تلك واحدة من المعجزات التي لم تستطع السيدة الوالدة كتمانها، على الرغم من مما تسببه لها من مشكلات."

في قرية صغيرة، في عشرينيات القرن العشرين، كان أهم يمكن أن يحدث شيء ما، أي شيء، لأن عدم وجود حكاية، لا يعادله إلا عدم وجود الخبر، أو انحباس المطر، أو هبوب داء غامض يخطف الأرواح مخلفا أسراره الغامضة والكثير من الأثواب السوداء.

ولقد ولدت الحكاية، ولم تكن بحاجة لهبة هواء تنقلها إلى القرى المجاورة وليالي سمتها المتعطشة ."[1]

هذا الجزء من الرواية يبين تدخل الراوي فيه بحيث يرجع إلى أحداث لا توجد في زمن الرواية أي هي عبارة عن أحداث جرت أو وقعت خارجها بحيث امتزج هنا كلامهما لتكوين وعي الشخصية من خلال أمامها بكل مجريات الأحداث فنلاحظ إقحام المؤلف نفسه جاء لتولي مهمة إرشاد القارئ وهذا ما أضفى على جمالية الرواية لأن الكاتب أقحم نفسه بطريقة جميلة.

آليات الحوار في رواية طفل الممحاة:

جاء الحوار في رواية طفل الممحاة عكس الحوار الذي نعرفه في المسرحية، فورد اشتغاله في مقاطع سردية من الرواية على شكل حوار شبه مسرحي من خلال وجود خطاب فيه مع بروز الضمير المخاطب، لكن ليس ليجيب له عن أسئلته وأن يتلقى الرد الذي يريده وإنما ليظل فقط شاهدا على الخطاب الذي يلقيه أمامه من خلال استدراج الذاكرة وتحفيزها على التذكر " لقد شاع هذا النمط من الحوار في الرواية الجديدة التي أفادت من علم النفس، وتمكنت من فهم الأبعاد النفسية والعقد النفسية التي تواجه الإنسان المعاصر "[2]. ومن أمثلة هذا في الرواية نجد ما يلي:

" حدق جيدا هناك.

[1] - إبراهيم نصر الله ،طفل الممحاة ، ص 15.
[2] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 220.

أترى الغبار المتصاعد.

تلك آثار خيولهم." [1]

يتبن أن الشخصية المحورية " فؤاد " لا ينتظر الجواب وإنما فقط تذكر كل مشهد من المشاهد التي حصلت معه حتى الغبار المتصاعد ليأتي معنى هذا المشهد يحمل ازدواجية فهو لا يقصد آثار الخيول و إنما أثار هول المشهد الحاصل أمام عين الطفل لتخلف اثرا بالغا كالتي تخلفه الأحصنة على الأرض من شدة قوتها.

"هاهي تمسكها وتعود بها، هل ترى؟ !! [2]

يتضح من خلال السؤال هنا أن السائل لا يطرح سؤاله من أجل معرفة الإجابة رغم وجود علامات الترقيم فيها كعلامة الاستفهام وعلامة التعجب لكن ليصور لنا المشهد بدقة جيدة لتأخذ هذه الأخيرة دورا في تبيان الحوار الوارد في المقطع.

ويكون هذا الخطاب بصيغة أفعال المضارع وهذا النوع من الحوار وأقصد بذلك المونولوج الذي يسمح بالانتقال بين الأزمنة ليعيد الماضي من البداية مع وجوب استرسال للوعي بوصف العالم المحيط للشخصية سواء عالمها الخارجي أو عالمها الداخلي ومثال ذلك:

راحت الأفعال المضارعة تجوب الرواية من بدايتها إلى نهايتها " تدور، تعرف، تتوقف، تصيح، تهوي، يرفعه، تجلس، تمنع " وغيرها من الأفعال المضارعة التي تساعد في استمرارية الأحداث ومنه استمرارية المونولوج فيها على طول حجم الرواية وفي الأخير ينتهي هذا المونولوج بتغيير الضمير أنت بضمير المستتر الغائب " فمن ذاك الذي يمكن أن يرى غيره أو يسمعه "[3].

[1] - إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة ، ص 40.
[2] - المصدر نفسه، ص 16.
[3] - المصدر نفسه، ص 275.

ومنه لا ننسى أن التجربة الفنية للكاتب إبراهيم نصر الله في طريقة كتاباته لها ميزاتها المتعددة من شعر ومسرح وغيرها من المواهب، ليعكس هذا التطلع الشامل على جل الأجناس الأدبية لتبقى متشبثة في قلم الروائي الفلسطيني وإفراز إبداع فني راق.

المبحث الثالث: بنية المونولوج وعلاقتها بالأبعاد السيكولوجية للشخصية البطلة في رواية طفل الممحاة:

بنية المونولوج في رواية طفل الممحاة :

يتأسس المونولوج داخل المحكي السردي على مسار درامي يقوم برصد تيمة النص وفق إستراتيجية البوح فجاء من أجل إفساح المجال للشخصية بحيث أعطى إبراهيم نصر الله للشخصية الروائية " فؤاد " حرية الحديث الذاتي ما يجول في بواطنها، ففي رواية طفل ممحاة نجد هذا التكنيك يأخذ حيزا مهما في مثل هذه الأنواع الروائية بحيث راحت تدور أحداثها عن السيرة الذاتية لبطل القصة فؤاد " تتسع الرواية لتشمل الجوانب الخاصة من حياة كل شخصية روائية تسرد عن نفسها "[1].

تقوم الشخصية بالسفر مع تفكيرها لتعود بالزمن إلى الوراء متتبعة حياتها من بواكير طفولته، وكل ما مر عليها من عتبات منذ إن كانت في الرابعة من عمره " عن أي شيء يشير إلى أن طفلا في الرابعة من عمره قد سقط هنا "[2]، فكانت الرواية تطول بطول المونولوج فيها من خلال محاورة نفسها لتضيء ظلامها الدامس الذي غدا ممحيا، دون أن تغفل أو تنسى أي تسلسل الحاصل للحدث والمتعلق بمحطة من المحطات التي عاشها.

[1] - محمد عز الدين التازي، السرد في روايات محمد زفزاف، دار النشر المغربية، 1985، ص 122.
[2] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة ، ص 14.

راحت هذه الشخصية في ذاتها تقوم باسترجاع ومناجاة نفسها حين لحقت به الصدمة جراء المشاهد العنيفة، موحيا المونولوج فيها للاشتغال على النص والذات من خلال رسم واسترجاع الذكريات المنسية بإعادة حياته " قرر أن يعيد له حياته متتبعا مسارها منذ اليوم الأول الذي التقاه فيه "[1]، يصرح الكاتب نصر الله في هذه النقطة أن هناك شيء حدث لهذه الشخصية المحورية فؤاد لكن اللغز في إعادة استرجاع الذكريات من خلال تتبع مسار هذا الطفل ليس لرصد مكنوناته وخلجاته بالضبط وإنما لتعرية الحقائق حول مجريات أحداث القضية الفلسطينية لتشرع الأبواب على مصرعيها بطريقة احترافية مستعينة بذلك سيرة أحد أفراد جنود الإنقاذ التي كان لها وقعها بحث.

جاء هذا المونولوج ليوهمنا بحقيقة الرواية و مصداقيتها في إطار السيرة الذاتية مستعينا بالتخييل، " وظلال النبر في المونولوج الداخلي كثيفة للغاية ... تشير إلى الأفكار التي تخلق الإثارة كما لو كانت ضربا من العواطف القوية "[2]، لتوهمنا بوجود شخصيات متعددة تبني الرواية تفرز من خلالها مجموعة من الأصوات (صوت السيدة الوالدة، الوالد، يعقوب، جون وليام) وغيرهم للتعبير عن خلجات أهوائها فتحمل هذه الصفحات الكثير من الوجع والسخرية السوداء، ليتضح في النهاية أن هذا التكثيف الحاصل داخل متن الرواية جاء عن طريق المونولوج الذي أطال من عمرها، ومنه تنتهي الرواية بانتهاء المونولوج وهذا ما حدث فعلا.

"..وها أنا الآن أجلس أمامك،

لكنك لم تعد تراني، كما لم تعد تسمعني،

فمن ذاك الذي يمكن أن يرى غيره و يسمعه، حين تكون أمامه مرآة بهذا الحجم ؟!!! "[3]

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة ، ص 9.
[2] - هيام شعبان ، السرد الروائي ، في أعمال إبراهيم نصر الله ، ص 227.
[3] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة ،ص 275.

من خلال هذا المثال تصرح شخصية الفتى القروي فؤاد على أنها كانت جالسة أمام مرآة كبيرة تتحاور مع ذاتها فتعري عن دواخلها في حقبة من حقبات الزمن لتبني حدثا دراميا مستعينا بالضميرين المتكلم " أنا " والمفرد الخاطب " أنت "، ففي هذه السطور القليلة تكثيف للمعنى لفتح تيار من الشعور وذلك لإيضاح الأسباب التي أدت بالشخصية المحورية الكشف عن تلك النهاية بتلك الطريقة.

علاقة المونولوج بالأبعاد السيكولوجية للشخصيات البطلة في رواية طفل الممحاة:

حظيت الشخصية الروائية في المنظور النقد النفسي بمكانة هامة، ولقد عد النقاد الشخصية بمثابة الركيزة الأساسية في بناء الرواية، " لأن الشخصية تصنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد "[1]، فيرتبط عنصر المونولوج مع عنصر النفس ارتباطا وثيقا كون هذا الحوار الحاصل يكون على مستوى النفس، فشخصية البطل فؤاد راحت تفصح عن أهوائها وتحمل صفات خاصة به فهذا الطفل الذي تربى في كنف أسرة قروية لا يعرف شيئا لأنه الابن الوحيد بعد وفاة أخوه بين ستة بنات فكان دائما تحت مراقبة والده " لأنها لا تسمح لك بأن تغيب عن عينيها " [2].

لتقوم بتذكيرها على ما نسيته من أحداث ماضيها جراء صدمة قد تلقاها " وفي مقابل ذلك راح الكتاب يجدون في استخدام محتوى وجهات النظر لنفسيته واستثمارها في صناعة الشخصيات التخييلية وخاصة في تأسيس حياتهم الداخلية والقبض على الانفعالات والتغيرات السيكولوجية التي يكونون موضوع لها "[3]، ربما نما هذا المونولوج جراء طبيعة حياة الإنسان في محيطه فكانت رائحة

[1] - حسين فهد، المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، فرادنيس للنشر والتوزيع ، 2003، بيروت ، ص 45.
[2] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة ، ص 11.
[3] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي ، ط 1، 1990، بيروت، ص 300.

البراءة تفوح منه من خلال جملة كانت بمثابة المؤشر على ذلك وهي " ترى بأن جميع الناس (خير وبركة)"[1]، وهي النية المفرطة في عدم وجود شر وهذا لا يعكس الواقع إطلاقا خصوصا ما حدث في فلسطين ومازال يحدث.

تعد التحولات النفسية للشخصية كوسيلة تعبي عن ديناميكية الأحداث من خلال الإيماء بالحياة الباطنية للشخصية البطلة ففي رواية طفل الممحاة هذه رواية دوره شخصية البطلة فؤاد الذي راح يبرز مكانته كبطل من أبطال الرواية وكيف كان دوره الفعال في سير أحداثها وحبكتها، وبما أن هذا العمل عبارة عن سيرته الذاتية الذي تبين من خلال رصد مواقف وأحداث حصلت معه من خلال عوده إلى الماضي ومناجاته لنفسه وهذه التقنية التي تطرق إليها لاسترجاع هذه الأحداث عن طريق تكلم الشخصية مع ذاتها والعمل على تفكيرها راح الكاتب ويتحدث بلسان أحد جنود الجيش الألقاب الطفل فؤاد ليحيك لنا أحداث ومجريات تلك الصدمات التي عاشها، فراحت تبحر الرواية في عالمها الخاص رغم أصوات الحروب فيها ورائحة المأساة التي حلت بفلسطين خاصة وبالبلدان العربية عامة، بالرغم من أنها بقيت تجبر الشخصية فؤاد على صمتها الأخاذ فراحت رواية طفل الممحاة تبني أساساتها على تقنية السيرة الذاتية للشخصية فواد لإحياء ذاته من جديد بتزاوج بين واقع المأساة الفلسطينية بالمتخيل السردي عن طريق إقحام المونولوج فيه.

ثم النفسية التي كانت تعاتب العريف فؤاد من تلك الليلة التي قضاها خارج أسوار المعسكر مع صديقه يعقوب وهو لا يعرف شيئا ليجد نفسه بين أحضان امرأة غريبة في مظهر غير لائق بحيث أنه لم يصادف مثل هته الأمور في قريته وهو ذاك الطفل الذي تربى على عادات مختلفة عن عادات العاصمة.

" لأنك لم تخرج عن الطريق الذي رسم لك أبدا "[1].

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة، ص 63.

" انتابك حس عميق بالذنب، وبالحرام الذي أحسسته قد اندس إلى روحك يعتصرها "[2].

ثم نفسيته المنهارة جراء هول المشهد الدامي في قرية من قرى فلسطين أثناء الحرب التي خلفت عدد هائل من الموتى، وكيف كانت له الجرأة عل دفنهم دفنا جماعيا " لأنك تأخرت في الوصول إلى القرية قبل ذبح أبنائها " [3]، ليناجي نفسه على الأحداث التي وقعت أثناء حرب ظن فيها أنهم منتصرون " ومن اكتشافات هذه المدرسة الروائية تقنيه المناجاة مما زاد هذه المدرسة تطورا استكشافات فرويد في مجال التحليل النفسي مما أفضى إلى طريقه جديدة في التمكين للشخصية من النماء والحياة بشكل مثير داخل العمل الروائي "[4]، فراحت الشخصية البطلة تعود بالزمن إلى الأيام التي قضاها في القرية والمعسكر والحرب من خلال تلك الدروس.

إن ما حدث في رأس العريف فؤاد لم يكن نتاج ضربة على رأسه، وإنما جراء صدمات مرت عليه في عدة مراحل ابتداءا من طفولته ولحظة سقوطه من أعلى المنزل مرورا بأجواء المعسكر والزوايا التي كان ينفرد بها إلى الحرب الدامية التي خلفت أثرا واضحا في نفسيته فما عاشه فؤاد من كل هذه المخلفات راحت تشكل في ذاكرته هول الصدمات التي اعتلته لتجعل منه طفلا يريد أن يختلج ما في نفسه ربما كي يبحث عن شيء تمكنه من استعادة ذاكرته وذاته ليغدوا في آخر المطاف محي تلك النفسية المتعبة، لتتضح صورة الانهيار والتلاشي متذوقا المعاناة وعيشة الشقاء والحزن وخسارة الذات منذ الطفولة، هذا الفقر الذي أحاطه من كل الجوانب ولد انكماشا في نفسية البطل " فقد رأيت أن بنية السيرة الذاتية هي الأكثر قدرة، لا للتعبير عن حياته التي لا يدركها وحسب، بل للتعبير عن جوهره ككائن ممحي تماما "[5] ، فراحت النفس تعصف بكل

---

[1] - إبراهيم نصر الله ، طفل الممحاة، ص 34.
[2] - المصدر نفسه، ص 77.
[3] - المصدر نفسه، ص 237.
[4] - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ،عالم المعرفة ، 1998، الكويت ،ص 69.
[5] - إبراهيم نصر، الله كتاب الكتابة تلك هي الحياة..ذاك هو اللون ، ص 203.

خلجاتها منذ البداية على نحو مستمر مع عدم الرجوع إلى مشهد من المشاهد لتمحيها من جديد فتخرج لنا شخصية مهزومة ومدحورة ومحطمة، لذا وجدنا أن المونولوج لم يقصرا في إضاءة ملامح الشخصية وأبعادها النفسية " دمج الوعي باللاوعي لإكمال الملامح النفسية للشخصية " [1].

وإمعانا في واقعية هذه الرواية انتهج نصر الله الأسلوب الذاتي، لجعل الشخصية المحورية فؤاد كاتبا لقصته، مما يجعل القارئ للاعتقاد بأنه إزاء سيرة حقيقة تحكي يومياتها، باستخدام أسلوب الخطاب المباشر للقارئ لخلق حالة من القرب النفسي، معززها بأسلوب السرد الذاتي.

[1] - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 228.

الخاتمة

خاتمة:

قبل الولوج لوضع نقطة النهاية لبحثي هذا والمتمثل في بنية المونولوج في رواية طفل الممحاة لإبراهيم نصر الله، لابد أن أستخلص وأبرز مجموعة من النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو التالي:

_ تعد تجربة إبراهيم نصر الله الروائية من أبرز الواجهات الروائية التي أخذت مكانها من تلقاء نفسها من خلال الانجازات الفنية التي جعلتها ترتقي إلى أبعد الحدود، فكانت رواية طفل الممحاة مثال على ذلك، من خلال استعمال تقنية المونولوج لدراسة البناء الداخلي الذي ترويه الشخصية البطلة.

_ أن عنوان الرواية " طفل الممحاة " يعكس أحداث الحكاية الروائية المقدمة على شكل سيرة ذاتية.

_ أن المونولوج بطبعه ابن بيئة مسرحية ذلك لم يمنعه من التوغل في الرواية ليكون عالما حكائيا بذاته راصدا بذلك بواطن الشخصيات للإفصاح عن مكبوتاتها.

_ زاوجت رواية طفل الممحاة بين أنواع المونولوج من مونولوج داخلي مباشر وآخر غير مباشر رغم اختلافهما لكن توصلت أن هذا المزج ولد بنية حكائية أفرزت باطن الشخصية المحورية والتي قادت سير أحداث الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

_ استنتجت أن الهدف من وضع تكنيك المونولوج في الرواية طفل الممحاة جاء ليعيد سرد سيرة البطل فؤاد من خلال استذكار الماضي والتي راحت تزول مجريات أحداثه من تلقاء جملة من الصدمات التي أصابت نفسيته.

_ توصلت أيضا أن المونولوج ينير الجانب المظلم الموجود في باطن النفس وهذا ما برز في شخصية العريف فؤاد الذي راح يجلس أمام مرآة كبير يعيد من خلالها استذكار نفسه على مجريات

الأحداث التي حلت به من بواكير طفولته إلى غاية مشاركته في الحرب والذي كان من أحد جنود جيش الإنقاذ المبعوثة لفلسطين.

_ أيضا من خلال هذه الرواية يتجلى عنصر السخرية بشكل واضح من خلال مقاطعها وهذا ما جعل من نفسية البطل تحيك ذلك النصر الذي رآه أنه نصرا لكن الحقيقة عكس ذلك فبرز هنا أن المونولوج لم يأتي فقط من أجل تبيان الحالات النفسية التي مرت بها الشخصية فؤاد و إنما ليكشف أيضا كذبة الانتصار في دواخل الناس بالرجوع للمادة التاريخية ومزجها مع المتخيل الحكائي.

_ شكل المونولوج في الرواية بنية السيرة الذاتية للعريف فؤاد لإدراك حياته، ولإدراك جوهره الذي غدا ممحيا.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- ✓ إبراهيم نصر الله، طفل الممحاة الملهاة الفلسطينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط3، بيروت، 2013.
- ✓ إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة تلك هي الحياة.. ذاك هو اللون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، 2018.

المراجع:

- ✓ إبراهيم الحجري، الرواية العربية الجديدة، السرد وتشكيل القيم، مكتبة قطر، ط1، 2014.
- ✓ حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي ط1، الدار البيضاء، 1990.
- ✓ حسن فهد، المكان في الرواية البحرينية دراسة نقدية، للنشر والتوزيع، بيروت، 2003.
- ✓ حميد لحميدان، بنية النص السردي من منظور نقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت 1991.
- ✓ حميد لحميدان، أسلوبية الرواية، مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، ط1، 1989.
- ✓ روبرت هيمفري، ترجمة الدكتور محمود الربيعي، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- ✓ صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي ط1، عمان، 2006 .

- ✓ عبد القادر القط، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
- ✓ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت 1998 .
- ✓ عبد الناصر هلال، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2006 .
- ✓ عز الدين إسماعيل، الأدب فنون دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط9، القاهرة، 2013.
- ✓ عمر بالخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ط2
- ✓ فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنيات وعلاقات السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، الأردن، 1999.
- ✓ قيس عمر محمد، البنية الحوارية في النص المسرحي، دار غيداء للنشر، ط1، عمان، 2011.
- ✓ محمد سالم سعد الله، أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، جدارا للكتاب العالمي.
- ✓ د. محمد صابر، د. عبيد سوسن البياتي، الكون الروائي قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية لإبراهيم نصر الله دار فارس للنشر والتوزيع ط1، لبنان، 2007.
- ✓ محمد عز الدين التازي، السرد في روايات محمد زفزاف، دار النشر المغربية، 1985.

- ✓ مرشد أحمد، البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، بيروت، 2005.
- ✓ نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ط1، عمان، 2015.
- ✓ هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي وزاره الثقافة، عمان، 2004.

المعاجم والقواميس:

- ✓ إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، 1987.
- ✓ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، ط1، م1، القاهرة، 2008.
- ✓ جيرالد برانس، ترجمة السيد إمام، قاموس السرديات، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2003.
- ✓ الشيخ رشيد عطية، معجم عطية في العامي والدخيل، دار الكتاب العلمية للبنان، ط1، بيروت، 2003.
- ✓ كمال الدين عبيد، مراجعة إبراهيم حمادة، أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006.

- ✓ لطيف زيتون، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي إنجليزي فرنسي، دار النهار مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2002.
- ✓ ماري إلياس، حنان قصاب حسين، المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض عربي انجليزي فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 1997.
- ✓ مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، بيروت، 1989.
- ✓ محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد للنشر، ط1، تونس، 2010.

مُلحق

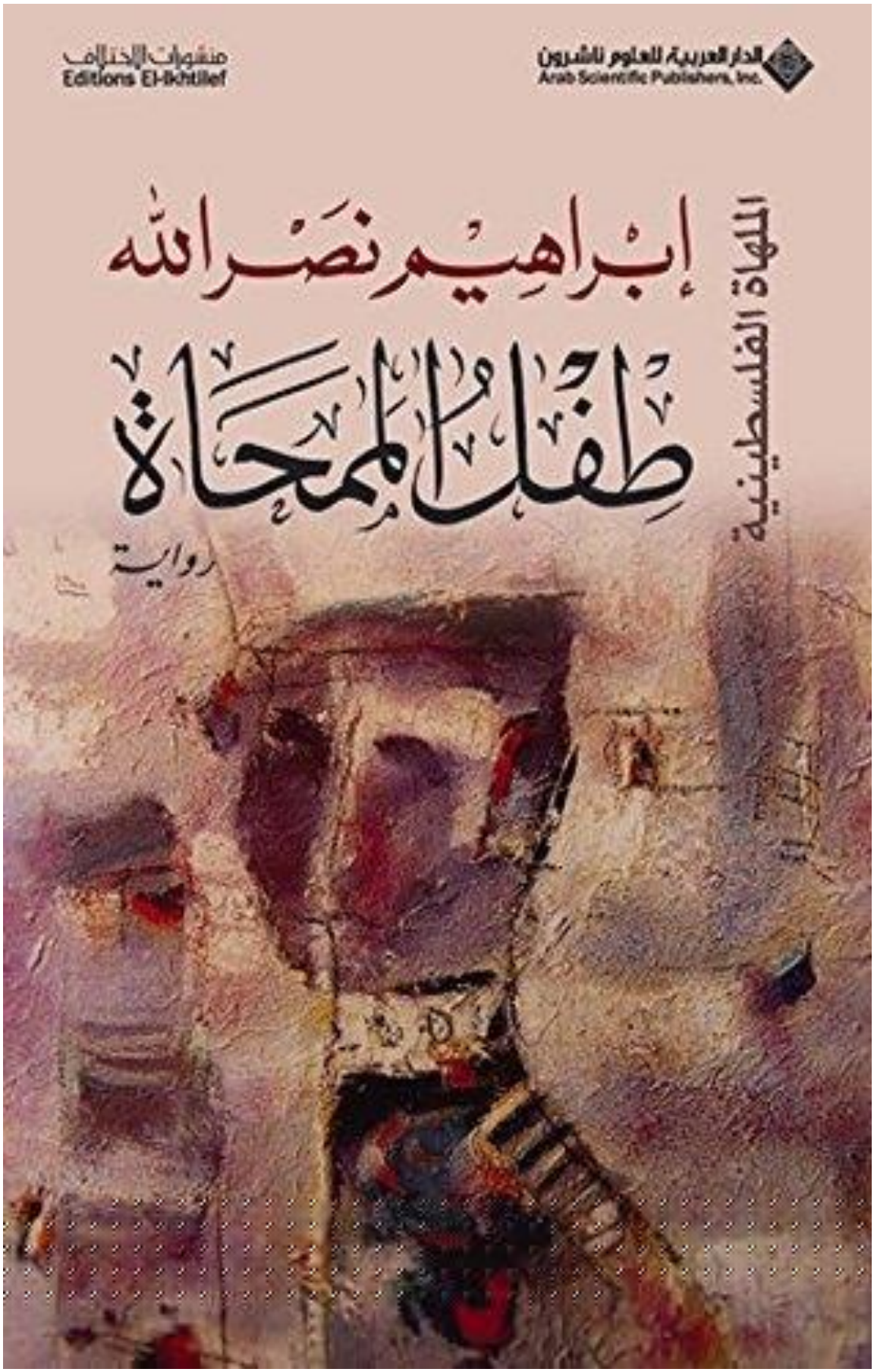
منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
إبراهيم نصر الله
طفل الممحاة
رواية
اللهاة الفلسطينية

فهرس الموضوعات

الإهداء.

شكر وتقدير.

مقدمة:.....أ

مدخل:.....9

- تعريف المونولوج.....9
- أنواع المونولوج وخصائصه:.....11

علاقة المونولوج بالحوار:.....14

الفصل الأول: المونولوج من وجهة تاريخية.

تمهيد..... 18

- المبحث الأول: مكانة المونولوج في الأجناس الأدبية.....19
- المبحث الثاني: أدب إبراهيم نصر الله الروائي: 25

الفصل الثاني: المونولوج كبناء درامي في رواية طفل الممحاة:

- المبحث الأول: أحداث الرواية وسيميائية العنوان: 37
- المبحث الثاني: مواطن المونولوج وآليات الحوار في الرواية:.....44
- المبحث الثالث: بنية المونولوج وعلاقتها بالأبعاد السيكولوجية للشخصية البطلة في رواية طفل الممحاة.....50

خاتمة:.....57

قائمة المصادر والمراجع:.....60
الملحق:..... 65